

**الإشارات في قصيدة "أتظن" للشاعر مهذل
الصقور**

(دراسة تداولية)

**Signs in the poem "Do You Think" by the poet
Mahdal Al-Saqoor
(A pragmatic study)**



إعرارو

د/ عبد الله شعف عماش الحربي

**دكتوراه في اللغة العربية (لغة ونحو)، الجامعة العربية
المفتوحة (الكويت)**

الإشارات في قصيدة "أتظن" للشاعر مهذل الصقور (دراسة تداولية)

عبد الله شعف عماش الحربي

قسم اللغة العربية (لغة ونحو)، الجامعة العربية المفتوحة (الكويت)

البريد الإلكتروني: abdullaku@hotmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة الإشارات في ضوء الدرس التداولي، عبر دراسة تطبيقية على قصيدة "أتظن" للشاعر السعودي مهذل الصقور، مركزاً على الأنواع الأساسية الثلاثة: الإشارات الشخصية، والزمانية، والمكانية. ويهدف إلى الكشف عن الطابع السياقي لهذه الإشارات، وكيفية تغيير دلالاتها تبعاً لمركز التلطف وموضع المتكلم في الخطاب.

وقد أبرز التحليل أن الإشارات في القصيدة لا تؤدي دوراً لغوياً مباشراً فحسب، بل تسهم في بناء مواقف الذات الشعرية، وتمثيل الزمن، وتشكيل فضاء التخاطب. وتُظهر نتائج الدراسة أهمية النظر إلى اللغة من منظور تداولي يكشف العلاقة الوثيقة بين البنية والسياق، ويبرز ما تحمله الإشارات من طاقة دلالية تتجاوز معناها السطحي. وتبرز أهمية هذه النتائج في أنها تؤكد الطابع التداولي للإشارات، إذ يتجاوز دورها حدود الإحالة اللغوية، إلى بناء شبكة من العلاقات المعنوية والنفسية والجمالية، تُثري فهم النص الشعري، وتكشف عن تفاعلاته العميقة مع السياق. ومن ثم، فإنه من المرجو أن تكون هذه الدراسة خطوة نحو إثراء المكتبة التداولية العربية، وفتح المجال أمام دراسات تطبيقية أخرى تستكشف حضور الإشارات في أنماط خطابية متنوعة.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة الإشارات، الدرس التداولي، قصيدة "أتظن"، البنية والسياق، الذات الشعرية.

Signs in the poem “Do You Think” by the poet

Mahdal Al-Saqoor

(A pragmatic study)

Abdullah Shaaf Ammash Al-Harbi

PhD in Arabic Language (Language and Grammar),

Arab Open University (Kuwait)

Email: abdullaku@hotmail.com

Abstract:

This study examines the phenomenon of deixis in light of pragmatic analysis, through an applied study of the poem “Do You Think” by the poet Muhannad Al-Suqoor, focusing on the three main types: personal, temporal, and spatial deixis. It aims to reveal the contextual nature of these references and how their meanings shift according to the center of utterance and the speaker’s position within the discourse.

The analysis highlights that deixis in the poem does not merely serve a direct linguistic function, but also contributes to constructing the stance of the poetic self, representing time, and shaping the communicative space. The findings underscore the importance of viewing language from a pragmatic perspective that uncovers the close relationship between structure and context, and reveals the semantic force carried by deictic expressions that goes beyond their surface meaning.

The significance of these findings lies in their confirmation of the communicative nature of gestures, as their role extends beyond linguistic reference to constructing a network of semantic, psychological, and aesthetic relationships that enrich the understanding of poetic text and reveal its profound interactions with context. They also open the door to further applied studies exploring the presence of gestures in diverse discourse patterns.

Keywords: Signifying phenomenon, discursive lesson, poem “Do You Think,” structure and context, poetic self.

المقدمة:

بسم الله رب العالمين، والحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين.

تُعد التداولية من أبرز المناهج اللسانية الحديثة التي تجاوزت حدود التركيب والدلالة إلى فضاء الاستعمال، إذ اتجهت إلى تحليل اللغة في سياقها الواقعي، على نحو يشمل المتكلم والمخاطب والمقام، وسائر المعطيات التفاعلية التي تحكم العملية التواصلية. ومن هذا المنطلق، اتسع الاهتمام بتطبيق المناهج التداولية على النصوص الأدبية، لا سيما الشعر، بوصفه خطاباً تتجاوز دلالاته سطح اللغة إلى ما تُشير إليه ضمناً وظرفياً. ويُعد تحليل الإشارات أحد المفاتيح المركزية لفهم العلاقة بين الذات الشاعرة، ومحيطها الزماني والمكاني والنفسي، فهي عناصر لغوية تتغير مع تغير السياق، وتُساهم في بناء المعنى بطريقة لا تُدرك إلا بتحليل علاقة اللغة بالمقام.

وفي هذا السياق، تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة قصيدة "أتظن" للشاعر السعودي المعاصر مهذل الصقور، باستخدام أدوات الدرس التداولي، مركزة على الإشارات بأنواعها: الشخصية، والزمانية، والمكانية. ويستدعي هذا التحليل الوقوف على البنى اللغوية التي يستثمرها الشاعر لتوجيه خطابه، وتمثيل موقفه، وتحديد موقع الذات من العالم والآخرين. وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الوظيفة التداولية للإشارات داخل الخطاب الشعري، وكيفية إسهامها في تشكيل المعنى وفقاً لسياق النطق لا التركيب فقط.

أولاً: محتوى الدراسة:

١. أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في كونها تسهم في تفعيل المنهج التداولي في تحليل الخطاب الشعري، عبر تناول الإشارات بوصفها مكونات لغوية تؤدي وظائف إحيائية ودلالية تتجاوز المستوى المعجمي، إلى المستوى السياقي التداولي. وتبرز الدراسة كيف تسهم الإشارات في تشكيل المعنى داخل النص، عبر علاقتها بعناصر السياق: المتكلم، والمخاطب، والزمان، والمكان، وغيرها.

كما أن الدراسة تقدم أنموذجاً تطبيقياً يمكن الاستفادة منه في دراسة الإشارات في نصوص شعرية أخرى. ويضاف إلى ذلك أن هذه الدراسة تتناول نصاً لشاعر معاصر، ما يمنحها بُعداً إضافياً يتمثل في رصد حضور الإشارات في التجربة الشعرية الراهنة، وتحليل أنماط التفاعل التداولي في الشعر الحديث.

٢. مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في البحث عن الكيفية التي تسهم بها الإشارات بأنواعها (الشخصية، الزمانية، المكانية) في تشكيل المعنى داخل الخطاب الشعري، وذلك عن طريق تطبيق أدوات التحليل التداولي على قصيدة معاصرة. وتنطلق الإشكالية من الحاجة إلى تحديد مدى انضباط هذه الإشارات داخل بنية النص، والعلاقات التي تقيمها مع لحظة التلفظ، والمرجع، والسياق، والمخاطب، في نص شعري لا يتعامل مع اللغة بوصفها رموزاً مرجعية فقط، بل باعتبارها بناءً فنياً كثيفاً.

وتزداد أهمية هذه المشكلة في ظل قلة الدراسات التطبيقية التي تتناول الشعر المعاصر من زاوية تداولية، ما يفتح مجالاً لفحص فاعلية النظريات

التداولية في قراءة النصوص الشعرية، ومدى قدرتها على تفسير توظيف الإشارات في سياق شعري لا يخضع بالضرورة لبنية خطابية مباشرة.

٣. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

١. تحليل البنية التداولية للإشارات في الخطاب الشعري المعاصر، عبر تطبيق مفاهيم التأشير الزماني والمكاني والشخصي على قصيدة "أتظن" لمهذل الصقور.

٢. بيان دور السياق في تشكيل المعنى الإشاري داخل النص الشعري، وتوضيح كيف تُبنى الدلالة بناءً على لحظة التلطف ومرجعية المتكلم.

٣. استكشاف الأبعاد النفسية والعاطفية التي تتضمنها الإشارات، لا سيما في توظيف المسافة الزمانية والمكانية بوصفها مؤشرات دلالية تتجاوز المعنى الحرفي.

٤. إبراز فعالية الأدوات التداولية في الكشف عن الأنساق العميقة للخطاب الشعري، وتقديم نموذج تطبيقي يعكس جدوى المنهج التداولي في التعامل مع النصوص الأدبية.

٥. توسيع نطاق تطبيق المنهج التداولي على الشعر العربي المعاصر، بوصفه حقلاً خصباً للكشف عن التفاعلات بين اللغة والسياق والهوية.

٤. أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما طبيعة الإشارات (الشخصية، الزمانية، المكانية) كما تتجلى في النص الشعري المعاصر؟

٢. كيف تسهم لحظة التلطف والسياق التداولي في بناء المعنى الإشاري داخل قصيدة "أتظن"؟

٣. ما الوظائف الدلالية والنفسية التي تحققها الإشارات في تمثيل العلاقة

بين الذات والمتلقي في الخطاب الشعري؟

٤. إلى أي مدى يمكن للمنهج التداولي أن يكشف عن العمق التواصلية

والرمزية في النصوص الشعرية؟

٥. ما الخصائص التداولية التي يتميز بها توظيف الإشارات في شعر

مهزل الصقور، مقارنة بالمفاهيم النظرية المطروحة في التداولية؟

٥. منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة في مقارنتها على المنهج التداولي، بوصفه منهجاً

يُعنى بتحليل اللغة في سياق الاستعمال، ويركز على العلاقة بين الملفوظ

وسياقه التخاطبي. وتتبع الظواهر الإشارية في النص الشعري المدروس،

وتحليلها في ضوء مقولات السياق، والمقام، ولحظة التلفظ، ونقطة الإشارة

المرجعية.

وقد تم تطبيق هذا المنهج عبر تقسيم الدراسة إلى مبحثين متكاملين:

المبحث النظري: يُعنى بتحديد المفاهيم التداولية الأساسية، لا سيما ما

يتصل بالإشارات وأنواعها، مع الاستعانة بمصادر لسانية وتداولية تؤسس

للإطار النظري.

المبحث التطبيقي: يتناول قصيدة "أظن" للشاعر مهزل الصقور

بالتحليل التداولي، عبر استخلاص الإشارات الشخصية والزمانية والمكانية،

وقراءتها في ضوء المفاهيم السابقة، مع ربط كل إشارة بسياقها التواصلية

ووظيفتها الخطابية.

وقد تم اختيار النص الشعري بناء على معيارين:

الأول: غناه بالعناصر الإشارية المتنوعة.

والثاني: كونه نصًا لشاعر معاصر، ما يسمح بتفعيل أدوات التحليل التداولي على خطاب شعري حديث يتصل بالسياقات الثقافية والإنسانية الراهنة.

٦. الدراسات السابقة:

- (يتيمة ابن زريق: مقارنة تداولية)

سعد بن عبد الله القرني - حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية -
جامعة الكويت - الحولية ٤٤ - يونيو ٢٠٢٤.

تناول الباحث قصيدة "يتيمة ابن زريق" من منظور تداولي، مركّزًا على الأفعال الكلامية، والإشارات، والمقاصد، والافتراضات المسبقة، بهدف الكشف عن الطبقات العميقة للمعنى داخل النص الشعري، وتحديد دينامية التفاعل بين المتكلم والمخاطب والسياق. اعتمدت الدراسة المنهج التداولي وأدواته لتحليل البنية العميقة، مع الانتباه إلى الخصوصية الجمالية والأسلوبية للشعر.

وتكمن قيمة هذه الدراسة في تقديمها نموذجًا تطبيقيًا متكاملًا لتحليل الشعر تداوليًا، وقد استقدت منها في بناء المعالجة المنهجية وتحقيق الاتساق بين الجانب النظري والتطبيقي في دراستي.

- دراسة الوظائف التداولية في ديوان (صباح الخير يا عرب) لصالح الدين باوية أنموذجًا

ندى بوسكي، وسمية مقروش - رسالة ماجستير - جامعة محمد
الصادق الجزائري - العام الجامعي ٢٠٢١/٢٠٢٢.

انطلقت الدراسة من منظور تداولي يركّز على الوظائف اللغوية داخل النصوص الشعرية، محاولةً تتبع آليات إنتاج المعنى عن طريق علاقة

المتكلم بالمخاطب، وتحديد مسارات المعالجة التداولية عبر الوظائف الداخلية والخارجية للغة. كما ركزت على مفاهيم مثل المحور والبؤرة والذيل، بوصفها أدوات تحليلية.

وقد استفدت مما وفّرت الدراسة من مراجع تداولية داعمة للإطار النظري في بحثي، إضافة إلى أسلوب توجيه القراءة التحليلية لمستويات الخطاب الشعري.

- **التداولية ومقاصدها في الأفعال الكلامية في قصيدة (سيدة الأقمار)**
زينة حسين عوضه القحطاني - مجلة العلوم الإنسانية والإدارية - جامعة شقراء - المجلد ١١ - العدد ١ - ص ٤٦ إلى ص ٥٩ - ٢٠٢٣م.
رصدت هذه الدراسة مقاصد الأفعال الكلامية في قصيدة "سيدة الأقمار" لغازي القصيبي، معتمدة على تصنيف سيرل، وساعية إلى إبراز تنوع الأداء المقصدي داخل البنية الشعرية. تناولت خمسة أنواع رئيسية من الأفعال دون التوسع في الجوانب التداولية الأخرى خارج الأفعال الكلامية. وقد استفدت من هذه الدراسة أسلوب وطريق تتبع الإشارات المرتبطة بالأفعال الكلامية، ما ساعدني في تحديد العلاقة بين الوظائف اللغوية والمواضع التداولية داخل القصيدة المدروسة.

- **التداولية: مقدمة عامة**

خلف الله بن علي - مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب - المجلد ١٤ - العدد ١ - ٢٠١٧م.

قدمت هذه الدراسة مدخلا تأسيسيا لمفهوم التداولية من حيث النشأة والتطور والرواد، مع بيان أوجه تقاطعها مع علوم الإنسان المختلفة، كالاقتصاد والنفس والبلاغة وتحليل الخطاب. كما تناولت المهام التداولية ومجالات تطبيقها، ممهدة لطرق توظيفها في تحليل النصوص الأدبية.

وقد ساعدتني هذه الدراسة في ضبط المفاهيم الأساسية للتداولية التي اعتمدتها في بحثي، وتحديد المصطلحات الإجرائية اللازمة لبناء الأساس النظري لمقاربة الإشارات.

- التعبير الإشاري في (الخصيبي): مقاربة تداولية

كاظم جاسم العزاوي - مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية - العراق -
المجلد ٢٤ - العدد ١ - مارس ٢٠١٦م.

سلّطت الدراسة الضوء على الإشارات بأنواعها الثلاثة: الشخصية، الزمانية، والمكانية عبر ديوان "الخصيبي" لطالب عبد العزيز. واستعرضت كيف تماهى الشاعر مع الذات والمكان، ما أكسب الإشارات بعداً تعبيرياً معززاً لبنية النص.

وقد استندت من هذه الدراسة في فهم كيفية تصنيف الإشارات داخل النصوص الشعرية، واستخدام الضمائر وظروف الزمان والمكان في بناء التماسك الدلالي.

- تداولية الإشارات عند ابن زيدون: قصيدة (أثرت هزير الشرى إذ ريض) أنموذجاً

حنان بنت علي عسيري - مجلة كلية دار العلوم - العدد ١٤١ -
يوليو ٢٠٢٢م.

ركزت الدراسة على الإشارات من زاوية تداولية، مستعرضة ضmann المتكلم والمخاطب والغائب، إضافة إلى الإشارات الزمانية والمكانية وإشارات العتاب العاطفي في نص شعري لابن زيدون. كما دمجت الباحثة بين علم الدلالة التداولي والسياق، سعياً لتفسير الخطاب داخل القصيدة.

وتُعد هذه الدراسة من أقرب الدراسات إلى موضوع بحثي، من حيث اشتراكها في الظاهرة المدروسة (الإشارات) والمنهج التحليلي المتبع، ما جعلها مصدرًا محوريًا لتأصيل المفاهيم وتقوية الجانب التطبيقي في دراستي.

- التعبير الإشاري في (الطرفة الذماریة): مقارنة تداولية

عبد الكريم مصلح البحلة، وعبد الله علي عصبه - مجلة الآدب -
جامعة ذمار - اليمن - العدد ١١ - يونيو - ص ٤٦ - يونيو ٢٠١٩.
بحثت الدراسة أهمية الإشارات في الخطابات الشفهية، وذلك عبر
دراسة "الطرفة الذماریة" بوصفها خطاباً شعبياً تواصلياً. وتميّزت الدراسة
بتركيزها على الإشارات الثلاث (الشخصية، المكانية، الزمانية)، وأظهرت
أن فهم وظائفها لا يتم إلا عبر السياق الخطابي.
وقد أفادتني هذه الدراسة في تنويع زوايا التطبيق التداولي، وتأكيد أثر
السياق في توليد المعنى الإشاري، وهو ما أسهم في دعم القراءة التحليلية في
موضوعي محل البحث.

ثانياً: المبحث النظري:

يُعدّ الجانب النظري مرتكزاً أساساً لهذه الدراسة، إذ يوضح الإطار
المفاهيمي والتداولي الذي سنبني عليه القراءة التطبيقية. وقد جرى تقسيمه
إلى ثلاثة محاور: مفهوم التداولية ونشأتها، وأهم جوانب الدرس التداولي
(الأفعال الكلامية، متضمنات القول، الاستلزام الحواري)، ثم الإشارات
 وأنواعها (الشخصية، الزمانية، المكانية).

١. مفهوم التداولية:

تُعدّ التداولية من أبرز المفاهيم اللسانية الحديثة التي أثارت جدلاً
واسعاً من حيث تحديدها وضبط مجالها، نتيجة لتعدد التخصصات التي
تتداخل فيها، من فلسفة ومنطق وعلم نفس ولسانيات^١. وتُعدّ من أبرز الفروع
التي تعالج العلاقة بين اللغة ومستخدامها في سياقاتهم المختلفة، مركزة على

١ : (التداولية) مقدمة عامة، خلف الله بن علي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب،

مج ١٤، ع ١، ٢٠١٧م، ص ٢٢١.

الاستعمال الفعلي للغة لا على بنيتها فقط. ولهذا كان من الصعب تقديم تعريف واحد جامع مانع لها، بسبب اختلاف زوايا النظر وتنوع المدارس اللسانية التي قاربتها^١. إذ لا يمكن اعتبارها حقلاً معرفياً مستقلاً بذاته، بل هي منطقة تداخل متعددة الجوانب بين اللسانيات والفلسفة والسوسولوجيا. فهي علم يبحث في كيفية تأدية اللغة وظائفها ضمن شروط التواصل المختلفة، مركزة على قصد المتكلم، والسياق، وطبيعة العلاقة بين المتحاورين^٢.

١-١. التداولية لغة:

ترتبط لفظة "تداول" في اللغة العربية بالجزر (د - و - ل)، وتدور معانيها حول التناوب، والتنقل، والتتابع، والتبادل، والتصرف في الشيء. فالتداول هو انتقال الشيء من واحد إلى آخر، والتدويل الانتقال والدوران، وقيل الحركة المستمرة للشيء بين أطراف متعددة^٣.

ويلاحظ من هذه المعاني أن الأصل اللغوي للتداولية يتضمن مفهوم التحول والانتقال وعدم الثبات، وهو ما ينسجم مع الطابع التفاعلي الحركي الذي تتميز به اللغة في الاستعمال الحقيقي داخل السياقات المختلفة^٤.

١ : على هامش التداولية، وفاء برتيمه، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٢٤، ص ١٦.

٢ : المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ت: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٥م، ص ٢٩-٣٠.

٣ : لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م، مادة (دول)، المجلد ١١، ص ٢٥٣-٢٥٣.

٤ : التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦م ص ١٥.

فالكلام لا يُنظر إليه ككيان ثابت، بل كفعل يتحقق فيه الزمان والمكان ويتنقل بين المتكلمين.

١-٢. التداولية اصطلاحاً:

يعد مصطلح التداولية ترجمة عربية للمصطلح الغربي (pragmatics)، الذي يعود بدوره إلى الكلمة الإغريقية (pragma) وتعني الفعل أو الحدث أو الأثر الناتج عن شيء^١. وقد "ترجم مصطلح (pragmatics) بعدة كلمات باللغة العربية، فهناك: الذرائعية، والتداولية، والبراجماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية، والنفعية، والتبادلية... لكن أفضل مصطلح هو التداولية؛ لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى"^٢.

وقد أولى عدد من المفكرين العرب أهمية خاصة لمفهوم التداولية، يأتي في مقدمتهم طه عبد الرحمن وأحمد المتوكل، إذ يعدان من أوائل من تعامل مع مفاهيم درس التداولي عربياً. ويرى طه في توصيفه للتداولية أنها تتجاوز حدود الشكل اللغوي إلى شروط الاستعمال، إذ ربطها بمفاهيم التفاعل والإنجاز والتواصل والمقام^٣. أما أحمد المتوكل الذي ركّز في دراساته على الجانب الوظيفي للغة فإنه يرى أن التداولية تُعنى بربط البنية

١ : على هامش التداولية، وفاء برتيمة، ص ٢٩.

٢ : التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، نشر شبكة الألوكة، ٢٠١٥م، ص ٥.

٣ : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي بالمغرب، ط ٢، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٨.

اللغوية بالوظائف التي تؤديها داخل السياق التواصل، عبر منظور يحل الخطاب بشكل شامل، مع الانفتاح على المقام ومقاصد المتكلمين^١.

من هنا كان "أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما"^٢. ومما تميزت به التداولية عن غيرها من اتجاهات الدرس اللغوي (مهام التداولية)^٣:

- تركز التداولية على دراسة الاستعمال اللغوي^٤.
- لا تمتلك التداولية وحدات تحليل خاصة بها، ولا موضوعات مترابطة.
- تدرس التداولية اللغة من وجهة وظيفية عامة.
- تعد التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة.

٢. نشأة التداولية وتطورها:

صاغ الفيلسوف تشارلز موريس مفهوم التداولية في ثلاثينيات القرن العشرين، حين قسم علم العلامات إلى: التركيب (Syntax)، والدلالة (Semantics)، والتداولية (Pragmatics). وجعل التداولية تعنى بدراسة

١ : جهود أحمد المتوكل في اللسانيات التداولية، سمية غول، مجلة (أفانين الخطاب)، المجلد ١، العدد ٢، ص ١٧١-١٧٢.

٢ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م، ص ١٤.

٣ : التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٢٦.

٤ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ١٤-١٥.

العلاقة بين العلامات ومستخداميها. وفي ضوء هذا التعريف، برزت التداولية بوصفها علما يهتم بما ينجزه المتكلم عن طريق الكلام، في ضوء السياق الذي يُقال فيه^١.

ومن هذا المنظور فإن بوادر التفكير التداولي في التراث العربي اللغوي تعود إلى تلك الفترة التي اهتم فيها القدماء بدراسة النص متكاملًا، متجاوزين حدود البنية والشكل النحوي، إذ ركزوا على الصدق والكذب، ومطابقة الخطاب للواقع، ومراعاة المقام ومقتضى الحال. وقد تجلت هذه المبادئ في أعمال علماء بارزين مثل: الشافعي، الجاحظ، ابن جني، عبد القاهر الجرجاني، الزمخشري، السكاكي، وغيرهم، ممن ربطوا اللغة بالفعل والبيان والتبليغ والإفهام، وأبرزوا دور المتلقي في فهم الخطاب وتأويله^٢. وقد وردت تلك البوادر التداولية عند العرب قديما: "في صور مبثوثة، ومعالجات متفرقة، بقصد أو بغير قصد، من خلال طرق العرض المتفاوتة، انطلاقا من ضرورة المنهج اللغوي نفسه، أو ضرورة المعالجة التي يستدعيها إنتاج الخطاب أو تأويله بشتى ضروره، ومختلف ميادين^٣". واستمرت هذه المنجزات التداولية عند العرب خجولة حتى شهدنا الثورة التداولية الحديثة في عالم اللسانيات الغربية التي انتفع منها نخبة من الباحثين العرب ممن عمقوا النظر في مفاهيم المقام، والإفهام، والتبليغ، وربط اللغة بالفعل والتأثير.

١ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ٩.

٢ : مسرد التداولية، مجيد الماشطة، دار الرضوان، الأردن ٢٠١٨، ص ٢٢. التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي، ص ٦-٩.

٣ : استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت ٢٠٠٤م، المقدمة ص X.

وبالعودة إلى التداولية الحديثة، فقد نشأت -في معظم مفاهيمها- من قلب التحليل الفلسفي، لاسيما من (الفلسفة التحليلية) التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين. وأسهم فلاسفة مثل: راسل، فيتجنشتاين، وكارناب، ورايل، وفريجه في التأسيس النظري للاتجاه التداولي، عبر تحليلهم للغة باعتبارها أداة تحمل المعنى، وتكشف عن الواقع، وتستخدم في التواصل، لا بوصفها بنية مجردة فقط. وقد ميز فريجه بين المحمول والتصور، وبين الدلالة والمعنى، وارتبطت تحليلاته بمفاهيم الإشارة، والمحمول، والوظيفة. والجامع "بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة، مفادها أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها"^١.

ثم تطورت النظرية مع أوستين، الذي أسس لفكرة (أفعال الكلام) مبيِّناً أن القول نفسه فعل. ثم واصل سيرل البناء على ذلك، فوسّع النظرية وربطها بأنواع الأفعال الكلامية، فيما جاء غرايس ليضيف نظرية (مبدأ التعاون) في المحادثة، مؤكداً على أهمية التضمينات التي لا تُقال مباشرة^٢.

٣. التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

انفتحت التداولية على عدد من العلوم والتخصصات المرتبطة بدراسة اللغة والاتصال، ما جعلها حقلاً تداخلياً يتقاطع مع حقول أخرى مثل الفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والسيميائيات، والأسلوبية، والبلاغة، والدلالة، وتحليل الخطاب^٣. هذا التعدد يُظهر مرونة المنهج التداولي وقدرته

١ : التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص ٢١.

٢ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ٩.

٣ : مسرد التداولية، مجيد الماشطة، ص ٤٤-٤٦.

على تحليل الظواهر اللغوية ضمن سياقاتها المتنوعة، فالتداولية "لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعاً... وهي كذلك لا تنضوي تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة بالرغم من أنها تتداخل معها في معظم جوانب الدرس"^١.

٣-١. التداولية والبنوية:

تُعنى البنوية بوصف اللغة باعتبارها نسقاً مغلقاً ومنظماً، يهتم بالقوانين الداخلية^٢، فيما تتجاوز التداولية هذا الإطار فتدرس اللغة بوصفها أداة للتواصل والتأثير، تركز على الأداء والسياق والاستعمال. وعلى الرغم من اختلافهما، إلا أن التداولية انطلقت في بعض أبعادها من اعتراضات على الطرح البنوي^٣.

٣-٢. التداولية والدلالة:

كلاهما يهتم بالمعنى، إلا أن الدلالة تتناول المعنى مجرداً عن السياق، فيما تدرسه التداولية ضمن ظروف الاستعمال الحقيقية، آخذة بعين الاعتبار المقاصد والمخاطبين، ما يجعلها أكثر شمولاً في التعامل مع المعنى وتفاعلاته.

١ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ١٠.

٢ : مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٦٥.

٣ : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ١٢٣.

٤ : التداولية، جورج يول، ت: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٢٠.

٣-٣. التداولية والأسلوبية:

تهتم الأسلوبية بجمالية اللغة وأبعادها الأدبية^١، فيما تركز التداولية على الوظائف التداولية للأفعال الكلامية والسياق المقامي والمقاصدي. ومع ذلك، فهناك تقاطع بين المجالين حين يُدرس النص الأدبي من حيث أثره في المتلقي، أو عند تحليل "الأسلوب" من منظور تداولي وظيفي^٢.

٣-٤. التداولية والبلاغة:

تتلاقى البلاغة والتداولية في كونهما يعتمدان اللغة أداة للتأثير والإقناع. البلاغة تهتم بالخطاب من حيث الإقناع وجماليات التعبير^٣، فيما تهتم التداولية بالفعل الكلامي والنية المقصودة وسياق التبليغ. وكلاهما يدرس وسائل الإقناع وتأثيرها على المتلقي^٤.

٣-٥. التداولية وتحليل الخطاب:

يعد تحليل الخطاب مكوناً مهماً في الدرس التداولي، إذ يتناول النصوص من زاوية بنيتها وسياقاتها وتفاعل المتكلمين فيها. والتداولية ترفد تحليل الخطاب بمفاهيمها حول المقام، المقصد، والوظيفة، فتتكامل المقاربتان في دراسة المعنى وتداوله ضمن الخطاب الحي^٥.

١ : الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب (سوريا)، ٢٠٠٢م، ص ٢٧.

٢ : المقاربة التداولية للأدب، إلفي بولان، ت: محمد تنفو، ليلي احمياني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ٢٠.

٣ : السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، محمد بن يحيى، عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن)، ٢٠١١م، ص ٢٥.

٤ : الأفعال الكلامية في سورة الكهف، رسالة ماجستير، آمنة لعور، جامعة منتوري، قسم اللغة العربية، ٢٠١٠-٢٠١١م، ص ٤٣.

٥ : في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص ١٣٤. المقاربة التداولية للأدب، إلفي

٣-٦. التداولية وعلم اللغة الاجتماعي:

يهتم علم اللغة الاجتماعي ببيان الأبعاد الاجتماعية للغة، مثل الفروقات بين المتكلمين ومستوياتهم اللغوية. وتلتقي التداولية معه في دراسة التفاعل الاجتماعي، وأثر السياق الاجتماعي في الفهم والإنتاج اللغوي^١.

٣-٧. التداولية وعلم اللغة النفسي:

تعتمد التداولية على المعطيات النفسية في تحليل الفعل الكلامي، مثل الانتباه، التذكر، والشخصية، لفهم كيفية تأثير هذه العوامل في التواصل، واستجابة المتلقين للخطاب^٢.

٤. جوانب الدرس التداولي:

تتناول التداولية مجموعة من الجوانب التي تشكّل جوهر تحليل الخطاب في سياقه الطبيعي، وتركّز على ما وراء المعنى الظاهر، مستندة إلى السياق والمقام والنية. ومن أبرز هذه الجوانب ما يأتي:

٤-١. أفعال الكلام:

تُعَدّ نظرية أفعال الكلام من أبرز المباحث في اللسانيات التداولية، وقد تأسست على يد (جون أوستين) ثم طوّرها (جون سيرل). ظهرت هذه النظرية كردّ فعل على التحليل اللغوي التقليدي، الذي كان يهتم بالجانب التركيبي والدلالي المجرد، متجاهلاً الوظيفة الإنجازية للغة في سياق التواصل الفعلي. فالكلام لا يُعتبر فقط حاملاً للمعنى، بل هو فعل يؤدي ويُحدث أثراً. وأفعال الكلام "ليست نظرية لسانية محضة، بقدر ما هي

=

بولان، ص ٢٨-٣٠.

١ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ١١.

٢ : في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص ١٣٢.

مقاربة فلسفية لبعض القضايا التي تنثيرها اللغة الإنسانية... إذ سلم الفلاسفة والمناطقة لأمد طويل بأننا نستعمل اللغة لوصف الواقع، لذلك تظل الجمل خاضعة لمعيار الصدق والكذب، فتكون الجمل صادقة إذا طابقت الواقع، وكاذبة إذا خالفته... غير أن واقع الحال يظهر أن عددا كبيرا من الجمل لا تخضع لمعيار الصدق ولا الكذب".^١

٤-١-١. مفهوم الفعل الكلامي:

الفعل الكلامي هو ما يُنجزه المتكلم عبر اللغة في مقام تواصلية معين، ويُقاس أثره بما يحدثه في المخاطب من استجابة أو موقف. وتكمن أهميته في أنه يتجاوز البنية اللغوية إلى الوظيفة، أي ما يراد تحقيقه من القول، مثل: الأمر، النهي، السؤال، الوعد، التهديد... إلخ. وقد بين (فان دايك) أن الفعل الكلامي ليس مجرد بناء لغوي، بل نشاط تواصلية اجتماعي يُمارس في ظروف وسياقات مختلفة.^٢

٤-١-٢. تصنيف أوستين:

ميّز أوستين بين نوعين من الجمل^٣:

- الجمل الخبرية: تُقيّم بصدقها أو كذبها.
- الجمل الإنشائية أو الإنجازية: لا تُقيّم بصدق أو كذب، بل تُنجز فعلاً بمجرد التلفظ بها (مثل: أعدك، أعتذر، أسمى...).

١ : التداولية، جواد ختام، ص ٨٦.

٢ : التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص ٤٠.

٣ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ٤٥.

ثم قسم أفعال الكلام إلى ثلاثة مستويات مترابطة^١:

الأول: فعل القول: إنتاج الملفوظ لفظيًا.

الثاني: الفعل المتضمن في القول: ما يُراد إنجازه من خلال القول

(كالأمر أو الوعد).

الثالث: الفعل الناتج عن القول: الأثر أو الاستجابة الفعلية لدى

المخاطب.

وحدد أوستين لاحقًا خمسة أصناف للفعل الإنجازي^٢:

• أفعال القرار: إصدار حكم أو حكم نهائي (كالحكم القضائي).

• أفعال التنفيذ: مثل التعيين أو الطلاق.

• أفعال الوعد: الالتزام بفعل لاحق.

• الأفعال السلوكية: كالتعزية والاعتذار.

• أفعال العرض: عرض شيء على المخاطب كطلب أو اقتراح.

٤-١-٣. تطوير سيرل:

طوّر "جون سيرل" هذه النظرية بإدخال مفهوم الأفعال الكلامية غير

المباشرة، والتي تُفهم من السياق دون أن نصرّح بها حرفيًا^٣. كما أعاد

تصنيف الأفعال إلى خمسة أنواع رئيسية^٤:

- التأكيدات: كالإخبار والإثبات.

- الأوامر والطلبات: توجيه فعل للمخاطب.

١ : التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحرأوي، ص ٤٢.

٢ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ٤٧.

٣ : نظرية الفعل الكلامي، هشام الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٧م، ص ١٠٧.

٤ : المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص ٦٦.

- الالتزامات: تعهد المتكلم بشيء مستقبلي.
- التصريحات: إحداث تغيير في الواقع عبر الكلام.
- الإدلاءات الانفعالية: التعبير عن المواقف والاتجاهات (كالشكر أو التهنة).

وقد أضاف سيرل إلى النظرية بعداً تواصلياً ومعرفياً واجتماعياً، مبيّناً أن الفعل الكلامي لا يتم فقط من خلال النية، بل بشروط تداولية يفرضها السياق، منها^١: الوضع الاجتماعي، نوع العلاقة، الكفاءة اللغوية، والمقام.

٤-٢. متضمنات القول:

تُعد متضمنات القول من أبرز مباحث التداولية، إذ تُعنى بدراسة المعاني غير المُصرّح بها في الخطاب، والتي يفهمها المتلقي ضمناً من خلال السياق أو من خلال الخلفية المعرفية المشتركة. وتبرز أهميتها في قدرتها على كشف البنية العميقة للخطاب، خاصة حين يحول السياق الاجتماعي أو الديني أو الأخلاقي دون التصريح المباشر. إذ "تشكل متضمنات القول مفهوماً إجرائياً تداولياً يهتم برصد الجوانب الضمنية والخفية من الخطابات، ذلك أن المتلفظ بالخطاب قد يلجأ أحياناً إلى عدم التصريح بكلامه، نتيجة ظروف معينة يخضع لها، فيتجه إلى التلميح بكلامه لأشياء غير مصرح بها، ولكنها متضمنة في القول"^٢.

ويُعرّف هذا المفهوم بوصفه رصدًا لما يقوله المتكلم بشكل غير مباشر، مراعيًا ما يُعرف بـ (قانون الصمت)، أي القيود التي تمنعه من التعبير الصريح لأسباب متعددة، فيلجأ إلى التلميح والإضمار. ويُفهم

١ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ٥٢-٥٣.

٢ : مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس لهويل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤م، ص ٢٧.

مضمون القول هنا لا مما يُقال، بل مما يُقصد أو يُفترض من ورائه^١.
وتنقسم متضمنات القول إلى قسمين:

الأول: الافتراض المسبق:

يُعد (الافتراض المسبق) أحد أشكال متضمنات القول، ويقصد به تلك المعلومات التي يُفترض أنها معروفة أو مسلّم بها قبل التلفظ بالجملة. إذ لا يُقال مباشرة، بل يكون خلفية معرفية يُبنى عليها الخطاب، فهو "شيء يفترضه المتكلم، يسبق التفوه بالكلام، أي أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس الجمل"^٢. مثل:

(توقّف زيد عن الكلام) تفترض أنه: كان يتكلم.

ومن ذلك يتضح أن أهم ما يميز الافتراض المسبق أنه:

• سابق على التلفظ.

• ثابت في ذهن المتكلم.

• ضروري لفهم الجملة.

ويتضمن غالبًا علاقة منطقية بين جملتين يُفهم من إحداها ما لم يُذكر في الأخرى، ما يجعله غير قابل للنفي بسهولة لأنه مفترض أساسًا^٣.

الثاني: الأقوال المضمرة:

يشمل (القول المضمّر) الجانب الذي يُستنتج من الكلام دون أن يُقال، ويُفهم من خلال السياق العام أو من طريقة التعبير^٤. ويُعتبر فعلاً

١ : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، قدور

عمران، عالم الكتب، الأردن، ٢٠١٢م، ص ٦٤.

٢ : التداولية، جورج يول، ص ٥١.

٣ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ٢٩.

٤ : التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحرأوي، ص ٣٢.

تواصلية مقصوداً يخدم أغراضاً بلاغية مثل التلميح أو الإقناع أو الإخفاء^١.
ومن أمثلته:

(إن السماء ممطرة) قد يُقصد منها ضمناً:

المكوث في البيت.

أو عدم نسيان المظلة.

أو الإسراع إلى العمل كي لا يتأخر.

ويتميّز القول المضمّن بأنه:

• يتغيّر مع تغيّر السياق.

• يتطلب تأويلاً عقلياً من السامع.

• يعتمد على النية والمقام.

ويختلف عن الافتراض المسبق في أنه ليس خلفية ثابتة، بل نتيجة
تأويل لما لم يُصرّح به، وغالباً ما يكون أداة لغوية لتجاوز القيود الاجتماعية
في التعبير^٢.

خلاصة: تنقسم متضمنات القول إلى:

• الافتراض المسبق: خلفية معرفية ثابتة ومفترضة في ذهن المتكلم.

• القول المضمّن: معنى غير مباشر يُستنتج من سياق الكلام وظروف
التخاطب.

كلاهما يثري الخطاب ويوسّع دلالاته، ما يجعل فهم النص مرهوناً بما
يُفهم أكثر مما يُقال.

١ : مسرد التداولية، مجيد الماشطة، ص ٨٦.

٢ : التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص ٣٢.

٤-٣. الاستلزام الحواري:

يُعد الاستلزام الحواري من المفاهيم المركزية في التداولية، وأحد "أهم الجوانب في الدرس التداولي؛ فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه، وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي، وعلى الرغم من ذلك فليس له -خلافًا لكثير من موضوعات البحث التداولي- تاريخ ممتد، إذ ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي دُعي (جرايس) إلى إلقائها في جامعة هارفرد سنة ١٩٦٧، فقدم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس، والأسس المنهجية التي يقوم عليها"^١. ويُعنى مفهوم الاستلزام الحواري بدراسة المعاني الضمنية التي تستنتج من السياق أثناء التواصل.

ويقوم مفهوم الاستلزام الحواري على شقين: الاستلزام المرتبط بالمعنى غير المنطوق، والحوار الذي يُستخلص فيه ذلك المعنى ضمن سياق تداولي. ويُعرّف بأنه دلالات ضمنية تستنتج من السياق الكلامي، إذ لا يُفهم المعنى إلا بتحقيق شروط المقام. كما أن مفهوم الاستلزام الحواري يرتبط بنظرية الأفعال الكلامية، حيث يُنقل المعنى فيه من صيغة مباشرة إلى معنى ضمني غير مصرح به^٢.

وقد أغفلت نظرية (جرايس) في بدايتها بعض الأنواع العكسية من الاستلزام، إذ يكون المسلّم به مفترضًا ضمنيًا دون أن يُذكر لفظًا، بل يُفهم من السياق أو يُكرر في الخطاب دون تأكيد لفظي^٣. ويمثل مفهوم (حكم المحادثة) إحدى لبنات الاستلزام الحواري، إذ تتشكل المحادثات وفق قواعد تضمن سلاسة التفاعل، ويؤدي الإخلال بها إلى اضطراب في التواصل.

١ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ٣٣.

٢ : التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، ص ٣٠.

٣ : التداولية، جواد ختام، ص ١٠٥.

من هنا يُعد الاستلزام الحواري آلية لضبط السياقات، وفهم مقصد المتكلم، ومعرفة نواياه^١.

ويعتمد الاستلزام الحواري على أربعة مبادئ وضعها (جرايس) ضمن مبدأ التعاون^٢:

- مبدأ الكم: لا تعطِ أكثر أو أقل من المعلومات المطلوبة.
 - مبدأ الكيف: لا تقل ما تظنه غير صحيح أو غير مدعوم بدليل.
 - مبدأ المناسبة: حدّد كلامك بحسب سياق الحديث وموضوعه.
 - مبدأ الطريقة: تحدث بوضوح وتجنّب الغموض والتعقيد.
- والاستلزام الحواري نوعان^٣:
- استلزام عرفي: يقوم على دلالات تقليدية ترتبط بالتراكيب والاصطلاحات الثابتة.
 - استلزام حواري: يتغير بتغير السياقات، ويتصل بتفاعل المتكلم والمخاطب، ويعتمد على معرفة المقام.
- ويتضح مما سبق أن هذه المبادئ لها دور فاعل في تنظيم الخطاب وتسهيل الوصول إلى المعنى المقصود، فهي تضبط العلاقة بين المتكلمين وتكشف مقاصدهم، ما يجعل الاستلزام الحواري أداة لفهم البعد الضمني للغة، وضمان فعالية التخاطب والتفاعل الحواري.

١ : التداولية في البحث اللغوي والنقدي، بشرى البستاني، مؤسسة السياب للطباعة والنشر، لندن، ٢٠١٢م، ص ٨٦.

٢ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ٣٥.

٣ : التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، ص ٣٠.

٤-٤. الإشارات:

تُعد الإشارات أحد المكونات الأساسية في الدرس التداولي، ومن أبرز مظاهر التفاعل بين اللغة والسياق، إذ تشير إلى عناصر لا يفهم معناها إلا بالرجوع إلى ظروف الخطاب، مثل: أسماء الإشارة، والضمائر، وظروف الزمان والمكان^١. و"ليست الإشارات مبحثًا مستحدثًا ولا مستجدًا على حقل الدراسات اللغوية، إذ تناوله النحاة في مصنفات كثيرة، وانشغلوا بالتفصيل له، وبيان خصائصه الصرفية والتركييبية والدلالية، كما تناولها الفلاسفة في مؤلفاتهم، في علاقتها بقضية الدلالة والإحالة المرجعية، وانشغل بها اللسانيون أيضًا، محاولين كشف أبعادها المختلفة. ورغم الأهمية النظرية التي تكتسبها الإشارات في النسيج اللغوي، إلا أنها لم تحظ بالعناية المطلوبة، مما يجعلنا أبعد عن فهم حدودها، كما نفتقد النمذجة الملائمة للتعبير الإشارية"^٢. وهذا يظهر حجم الفجوة التي سدها الدرس التداولي عند معالجته لمبحث الإشارات.

ويرى الباحثون أن كل اللغات تتضمن "كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادًا تامًا على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه"^٣؛ لأنها تفتقر إلى مرجع ذاتي. فجملة مثل: "سوف يقومون بهذا العمل غدًا، لأنهم ليسوا هنا الآن"، دون معرفة السياق، بدت غامضة ومبهمه، لأنها تحتوي على عناصر إشارية مثل: (هم)، و(هذا)، و(غدًا)،

١ : تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، بهاء الدين مزيد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٧٠. نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١١٦.

٢ : التداولية، جواد ختام، ص ٧٥.

٣ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ١٦.

و(الآن)، و(هنا)، التي لا تُفهم إلا عبر تحديد مرجعها الفعلي في الموقف الكلامي.

ونُعرّف الإشارة في السياق التداولي بأنها "فعل يستعمل فيه متكلم أو كاتب صيغاً لغوية لتمكين مستمع أو قارئ من تحديد شيء ما"^١، وتتنوع هذه الصيغ بين أعلام مثل: (شكسبير، هاواي)، وعبارات اسمية معرفة مثل: (الكاتب، المعني)، أو تكرات مثل: (رجل)، أو ضمائر مثل: (هو، هم). ويعتمد اختيار نوع معين من هذه الصيغ على ما يفترضه المتكلم من معرفة لدى السامع عن المرجع المشار إليه. يفهم من ذلك "أن الإشارات عبارة عن علامات مُحيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زمني ومكاني محدد. لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشارات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى"^٢.

يكشف لنا ما سبق أن الإشارات ترتبط ارتباطاً مباشراً بمبدأ السياقية، إذ إنها لا تحيل إلى دلالة معجمية مستقلة، بل تُستمد دلالتها من الظروف المحيطة بالقول^٣. ولهذا، نجد أن هذا المرتكز هو الذي اعتمد عليه الباحثون عند تعريفهم للإشارات، إذ وصفوها بأنها علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها^٤.

١ : التداولية، جورج يول، ص ٣٩.

٢ : التداولية، جواد ختام، ص ٧٦.

٣ : التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، ص ٢٠.

٤ : استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص ٧٩.

وقد شهد التنظير اللغوي تطوراً ملحوظاً في التعامل مع الإشارات، لا سيما بعد أن تبين قصور النظريات الدلالية الشكلية في معالجتها. إذ يرى (ليفنسون) أن التعبيرات الإشارية تشكل تذكيراً دائماً بأن اللغة الطبيعية صُممت أصلاً للتخاطب وجهاً لوجه، ما يفسر الغموض الناتج عند غياب المرجع. هذا القصور دفع إلى ظهور نظرية "الدلالة المقامية" كما صاغها (باروايز وبري)، وهي محاولة جادة لإدماج العناصر السياقية في التحليل الدلالي^١.

وتقع الإشارات عند تقاطع علمي الدلالة والتداولية، ما يجعلها من أكثر الظواهر اللغوية تركيباً وثراءً^٢. وقد حدد ليفنسون أنواعها في خمسة أقسام رئيسة، وإن كان بعض الباحثين اقتصرها على ثلاثة، وآخرون جعلوها أربعة^٣، والأنواع الخمسة هي:

- الإشارات الشخصية.
- الإشارات الزمانية.
- الإشارات المكانية.
- الإشارات الاجتماعية.
- الإشارات الخطابية أو النصية.

وتُظهر الدراسات أن العلاقة بين الإشارة والمرجع ليست علاقة ثابتة أو مطلقة، بل خاضعة للسياق بشكل مباشر. فالإشارة بـ(أنا) لا تعني شيئاً ما لم تُربط بمتكلم بعينه في موقف قولي محدد. ولهذا، فإن الإشارات تشكل جزءاً من المرجعيات، لأنها لا تشير إلا بوجود مرجع ما، فبين (أنا) وبين

١ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ١٧.

٢ : مظاهر التداولية، باديس لهويل، ص ٣٥.

٣ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ١٨.

فرد ما يتحدث عن نفسه في لحظة معينة تكون العلاقة حقيقية ناتجة عن التلفظ بالكلمة في موضع مخصوص^١.

وفي ذات السياق، يرى (لاينز) أن الإشارة لا يمكن فهمها عبر المعنى المعجمي فحسب، بل تعتمد أساساً على عوامل السياق الذي وردت فيه، حيث يتحدد مدى الإشارة بمعناه في اللغة، إلا أن إشارته الحقيقية تعتمد على مجموعة متنوعة من العوامل السياقية، إذ لا يمكننا "تحديد إشارة تعبير ما بعيداً عن سياق نطقه، بل يمكننا ضمن قيود علم الدلالة المبني على الجملة أن نقيم مفهوم التعبير"^٢.

ويجمع هذا التصور بين بعدين اثنين: البعد اللغوي الداخلي الذي يتصل بالبنية النحوية والدلالية، والبعد التداولي الخارجي المرتبط بالمقام الخطابي وظروف التواصل. وهذه الازدواجية تفسر شدة الحاجة إلى التداولية لتحليل الإشارات، بل وتبرر إدراجها في صلب هذا العلم لدى كثير من الدارسين.

وبناءً على ما سبق، يتضح أن الإشارات ليست مجرد أدوات لغوية، بل هي مفاتيح مركزية لفهم المعنى في السياق الحي، ولا يمكن عزلها عن لحظة التلفظ، أو عن موقع المتكلم والمخاطب والزمن والمكان والمرجعيات المعرفية التي يتقاسمها الطرفان في التفاعل.

١ : الملفوظية، جان سيرفوني، ت: قاسم المقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م، ص ٢٨.

٢ : اللغة والمعنى والسياس، جون لاينز، ت: عباس الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ص ٢٤٤.

٤-٤-١. الإشارات الشخصية:

تُعد الإشارات الشخصية من أبرز تجليات العلاقة بين اللغة والسياق في النظرية التداولية، إذ تتكشف بواسطتها البنية العميقة للتخاطب بوصفه فعلاً تواصلياً مشروطاً بموقع المتكلم والمخاطب، وسياق الخطاب، وأبعاده الزمانية، والمكانية، والاجتماعية. وتتمثل هذه الإشارات أساساً في الضمائر التي تُحيل على أطراف الخطاب، وتُحدّد مواقعهم داخل لحظة التلفظ. وهي لا تكتسب دلالتها من معناها المعجمي الثابت، بل من ظروف استخدامها الفعلية، ما يجعلها مفاتيح مركزية في تحليل البنى التداولية للغة^١.

وتُعد ضمائر الحاضر من أوضح صور الإشارات الشخصية، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده، مثل: (أنا)، أو المتكلم ومعه غيره، مثل: (نحن)، والضمائر الدالة على المخاطب مفرداً أو مثلي أو جمعا، مذكراً أو مؤنثاً. وضمائر الحاضر هي دائماً عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه^٢. إذ إن فهم تلك الضمائر مرهون بالسياق التلفظي، لا بالبنية اللغوية وحدها. فالضمير (أنا) مثلاً، لا يملك دلالة مستقلة، بل يستدعي معرفة سابقة بطرف الخطاب الذي يستخدمه، وظرف استعماله الزمني والمكاني. وهذا ما يجعل قول (أنا حر) غير كافٍ لفهم المعنى الكامل ما لم يُعرف من القائل وفي أي ظرف قيلت العبارة.

كما أضاف بعض الباحثين النداء والأسماء الموصولة في بعض أحوالهما إلى الإشارات الشخصية^٣، وكذلك الضمائر المستترة في النحو

١ : استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص ٨٢.

٢ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ١٨.

٣ : يتيمة ابن زريق (مقاربة تداولية)، سعيد القرني، ص ٣٩. تداولية الإشارات عند

العربي التي تعد ضرباً "من الإشارات التي تدرك الإحالة عليها من السياق، فلا يتلفظ بها المرسل لدلالة الحال عليها، ويتطلب البعض منها حضور أطراف الخطاب حضوراً عينياً، في الأمر والنهي مثلاً؛ ففعل الأمر ينطوي على (أنت) الذي يوجه إليه الخطاب، وبالتالي تنوعت الضمائر بين المستتر وجوبا، والمستتر جوازا"^١.

ونقاس مرجعية الضمائر وفق شرط تداولي أساسي يتمثل فيما يُعرف بـ(شرط الصدق)، وهو تحقق العلاقة بين العلامة والمرجع في الواقع. فالإشارة لا تُعد ناجحة تداولياً لمجرد صلاحها التركيبي، بل يجب أن تطابق حالة واقعية قائمة، كما في مثال: "أنا أم نابليون"، الذي لا يكون صادقاً إلا إذا كان مطابقاً للواقع فعلاً^٢. وبذلك تُصبح الإشارات أدوات للفحص المرجعي لا أدوات تركيب نحوي وحسب.

وتتداخل الإشارات أيضاً مع آليات النقل والتمثيل الخطابية، إذ يتغير مرجع الضمير وفقاً لدور القائل الأصلي أو ناقل الخطاب. في مثل هذه الحالات، يُصبح الضمير (أنا) محتمل الإحالة على أكثر من ذات واحدة، ما يفرض على المتلقي تمييز المصدر الأصلي للكلام من ناقله، ويتضاعف هذا التداخل حين يتم تبادل الأدوار بين المتكلم والمخاطب ضمن خطاب حي^٣.

=

(ابن زيدون)، حنان عسيري، ص ٢٤٠.

١ : استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص ٨٣.

٢ : آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص ١٩.

٣ : التداولية، جواد ختام، ص ٧٨. التداولية، جورج يول، ص ٢٩-٣٠.

كما أن الإشارات ليست محايدة من حيث الوظيفة الخطابية؛ إذ تُستخدم في بناء السلطة أو مقاومتها. ويظهر هذا التفاوت بجلاء في الضمير الجمعي (نحن)، الذي يُوظَّف أحيانًا من قبل متكلم مفرد بهدف إضفاء بعد تمثيلي على الذات، وهو ما لا يُستنتج من الضمير نفسه، بل من السياق الثقافي الذي يحرك هذا الاستخدام^١.

وترداد أهمية الإشارات حين تُستخدم في الخطاب الإبداعي^٢، حيث تُصبح جزءًا من البناء الجمالي والدلالي، وتدخل ضمن شبكة معقدة من الإحالات الرمزية والثقافية. فالإشارة إلى (أنا) في سياق شعري قد لا تعني المتكلم الحقيقي، بل تمثل ذاتًا خطابية متخيلة تُبنى وفق استراتيجية لغوية مقصودة، فالضمير (أنا) هو أكثر عنصر في القدرة على التعبير عن الذاتية في اللغة، وبالتالي التمكن من امتلاك ناصية الحديث، واكتساب السلطة بالخطاب من خلال التلفظ به^٣. وهنا يصبح الضمير نقطة ارتكاز لتوليد دلالة تتجاوز الإحالة المباشرة إلى الذات^٤.

مما سبق يظهر لنا أن الإشارات الشخصية هي بنى تداولية مفتوحة على أبعاد متعددة: لغوية، وسياقية، وثقافية، ومرجعية، وأنها تمثل مفاتيح ضرورية لفهم التفاعلات الخطابية، خاصة حين ترتبط بنصوص ذات طابع رمزي مثل الخطاب الشعري.

١ : استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص ٨٣.

٢ : مقارنة تداولية لقصيدة (لا تصالح) لأمل دنقل، حمدة العنزي، مبحث (التداولية والخطاب الشعري).

٣ : تداولية الإشارة عند نزار قباني، ضيف الفرجاني، ص ١٣٦.

٤ : مسرد التداولية، مجيد الماشطة، ص ٥٠. التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، ص ١٦-١٧.

٤-٤-٢. الإشارات الزمانية:

تُعد الإشارات الزمانية أحد أهم مظاهر التأشير في الخطاب، ويمكن أن نعرفها بأنها: ألفاظ "تدل على زمان يحدده السياق قياساً إلى زمن التكلم، حيث يعد هذا الأخير مركز الإشارة الزمانية، فإذا لم يعرف هذا المركز التنبس الأمر على السامع والقارئ"^١. وترتبط الإشارات الزمانية ارتباطاً وثيقاً بلحظة التلفظ التي تُعد مركز الإشارة الزمانية. ونُفهم كلمات مثل (الآن)، (غداً)، (أمس)، و(بعد أسبوع) بحسب زمن التفوه بها، بحيث تختلف إحالتها المرجعية من لحظة إلى أخرى. فقول المتكلم: (سأعود بعد ساعة) لا يمكن تأويله إلا إذا عُرف وقت التلفظ بالجملة، وإلا التنبس على المتلقي المراد منها^٢. فدلالة الزمن "لا تتحدد بزمن الفعل أو الظرف بحد ذاته، وإنما بزمن التلفظ. معنى ذلك أننا عندما نعلم لظرف زمن مثل (أمس)، فإن دلالاته تتحدد بالزمن الذي أنتج فيه الملفوظ، أي أنه يدل على اليوم الذي سبق يوم إنتاج الملفوظ، وبالمثل فإن (غدا) تدل على اليوم الذي يلي زمن الحديث. ومن هذا المنظور يتضح أن الزمن بقدر ما يمثل عنصراً ملازماً لكل لغة وحدث لغوي، بقدر ما تتصل دلالاته بالخطاب والاستعمال"^٣.

كما أن لحظة التلفظ تُعد المرجع الأساسي لفهم هذه الإشارات، إذ يتم بناء دلالاتها انطلاقاً من ربطها بالفعل، ثم بالفاعل داخل السياق. ويغدو من الضروري على المتلقي أن يدرك لحظة التلفظ ليُحسن تأويل العبارات، كما في المثال الإعلاني: (انتبهزوا فرصة التخفيضات الآن)، فالإشارة (الآن) لا تحيل إلى زمن دقيق ما لم تُربط بلحظة التلفظ أو بيئة عرض الإعلان.

١ : مظاهر التداولية، باديس لهويل، ص ٣٦.

٢ : مسرد التداولية، مجيد الماشطة، ص ٥٤-٥٥.

٣ : التداولية، جواد ختام، ص ٨٠-٨١.

لذلك تعد "لحظة التلفظ هي المرجع، ولهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطاً قوياً في مرحلة أولى، ونربط كذلك بين الزمن الفاعل، لأهمية كبرى، في مرحلة ثانية. ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعاً يحيل عليه، ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناءً على معرفتها"^١.

ويرتبط فهم الإشارات الزمانية بتمييز دقيق بين الزمن النحوي والزمن الكوني، فالأول يتعلق بصيغ الأفعال ومواقعها التركيبية، فيما يرتبط الثاني بالتقويم الزمني العام للأيام والشهور والسنوات. غير أن هذين الزمنين لا يتطابقان دوماً، ما يجعل تأويل الإشارات الزمانية رهيناً بسياق الخطاب لا ببنيته النحوية وحدها^٢.

وتنقسم الإشارات الزمنية في الخطاب الشعري إلى نوعين: "إشارات مرجعية مثل: (الدهر)، و(اليوم)، و(العام)، و(الشهر)، وغيرها. وإشارات من عالم الخطاب: أي أفعال لها لون زمني محدد كالماضي والمضارع، وهي تختلف في درجاتها، فالماضي البعيد يمكن أن يستعمل الشاعر للتعبير عنه ناسخاً من النواسخ (كنت خرجت)، والماضي القريب يمكن أن يحدد درجة قربه باستعمال دال زمني يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام. والإحالة على الزمان ذات علاقة وثيقة بالسياق الذي ترد فيه، وبمنظرة المتكلم للعالم الذي يصفه بصفته عالماً منشوداً أو مفقوداً"^٣.

١ : استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص ٨٣.

٢ : آفاق البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص ٢١.

٣ : يتيمة الدهر (مقاربة تداولية)، سعيد القرني، ص ٤٠.

كما أن الإشارات الزمانية قد تحمل دلالات تتجاوز معناها المباشر، مثل استخدام (اليوم) في عبارة (بنات اليوم)، التي لا تشير إلى هذا اليوم تحديدًا، بل إلى العصر الراهن بكل ما فيه من تحولات اجتماعية وثقافية. وتُظهر مثل هذه الاستخدامات أن الإشارة الزمنية تُعاد صياغتها سياقيًا، بحسب أعراف الاستعمال، لا بناءً على المعنى الحرفي^١. وقد تُستخدم أزمنة الأفعال في اللغة لتأشير بعيد زمنيًا عن موقع المتكلم الحقيقي، كما في هذا المثال من اللغة الإنجليزية: "If I went to the moon tomorrow..."

إذ يُستخدم الماضي "went" للإشارة إلى مستقبل غير متوقع أو مستحيل، مما يدل على المرونة الزمنية في بنية التأشير^٢. وتكشف أيضًا الإشارات الزمانية عن ضرورة إدراك مرجع الخطاب، فقول مثل (وزير المالية المصري) دون تحديد زمني يفتح المجال لالتباس المقصود، ما يفرض على القارئ الرجوع إلى السياق التاريخي لفهم المراد. وتزداد هذه الحاجة وضوحًا في الأعمال الأدبية التي تحيل إلى "الحرب" أو "الربيع" دون تحديد، مما يربك المتلقي إن لم يُعنَ بتأويل الزمان بالقياس إلى لحظة التلفظ أو تاريخ النشر^٣.

أما في البنية النفسية للتأشير، فإن الوعي الزمني يُبنى كما لو أن الأحداث تتحرك نحونا أو تبتعد عنا، فنقول (الأسبوع القادم)، أو (الشهر الماضي)، كما لو أن الزمن كيانٌ ملموس يقترب أو يبتعد. وهذا الأساس

١ : آفاق البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص ٢١.

٢ : مسرد التداولية، مجيد الماشطة، ص ٥٦.

٣ : آفاق البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص ٢٠.

الإدراكي هو ما يبرر التشابه بين التأشير الزماني والتأشير المكاني في كثير من اللغات^١.

وبهذا يتضح أن الإشارات الزمانية هي أدوات إشارية تُبنى على نسبية الزمان، وتُفكك عبر سياق الاستعمال، إذ لا تُفهم إلا ضمن منظور تداولي دقيق يراعي لحظة التلفظ، وتفاعل الزمن النحوي مع الزمان الكوني، ومدى حضور المتكلم وسياقه.

٤-٤-٣. الإشارات المكانية:

"هي عناصر دالة على مكان المتكلم وقت التكلم، ولذلك نجد المتكلم يضمن كلامه عدة عناصر إشارية تدل على المكان، نحو: (هنا)، (هناك)، وسائر ظروف المكان: أمام، خلف، يمين، يسار. ولتحديد المكان أثر واضح في اختيار العناصر التي تشير إليه قريبا، أو بعدا، أو وجهة. ولا يمكن تفسير العناصر الإشارية المكانية إلا إذا تم الوقوف على ما تشير إليه بالقياس إلى مكان المتكلم وموقعه"^٢.

وتُعد الإشارات المكانية من أبرز أدوات اللغة التي تُبرز العلاقة بين الخطاب وموقع المتكلم، إذ لا يمكن فصل المتكلم عن المكان عند إنتاجه للملفوظ، ما يمنح هذه الإشارات مشروعية تداولية خاصة. ويُقصد بالإشارات المكانية تلك العناصر التي تُستخدم لتحديد المواقع بالنسبة إلى نقطة مرجعية في الحدث الكلامي، وغالبًا ما تكون هذه النقطة هي موقع المتكلم لحظة التلفظ^٣.

١ : التداولية، جورج يول، ص ٣٥.

٢ : مظاهر التداولية، باديس لهويميل، ص ٣٦.

٣ : التداولية، جواد ختام، ص ٨١.

ويعتمد تفسير مثل هذه الإشارات على مفهومي القرب والبعد، كما في (هنا) و(هناك)، أو (هذا) و(ذلك)، إذ تُفهم هذه الألفاظ بناءً على موقع المتكلم النسبي. ولا تحمل هذه الإشارات معناها في ذاتها، بل تستمد من السياق الذي تُنتج فيه، فقول المتكلم (أنا جالس قرب الباب) لا يُفهم على وجه الدقة إلا إذا عُرف موضع المتكلم وقت نطقه بالجملة؛ لأن تغيير موقع المتكلم يُفقد العبارة دلالتها المرجعية، ويجعل ظرف المكان (قرب الباب) خالياً من المعنى الإحالي^١.

ويندرج تحت هذا النوع من الإشارات أيضاً الاستخدام النفسي للمكان، وهو ما يُعرف بـ(المسافة العاطفية) أو (التأشير الوجداني)، حيث تُستخدم الإشارات المكانية ليس فقط للإحالة إلى موقع مادي، بل أحياناً للإشارة إلى تقارب أو تباعد نفسي، كما في استخدام (هذا) للتهمك، أو (ذلك) للتعظيم، وهو ما يشبه ما عبّر عنه علماء البلاغة القدماء بالتحقير بالقرب والتعظيم بالبعد، كما في قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَاهِتَكُمْ﴾، وقوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^٢.

ويلاحظ أن المتكلم قد يُسقط الإشارة المكانية على موقع غير حقيقي، بناءً على تبنيه لدور معين داخل الخطاب، كما في مثال: "(كنت أنظر إلى هذا الجرو الصغير ذي الوجه الحزين في القفص، كان لسان حاله يقول: آه، لست سعيداً هنا أبداً، هل لك أن تطلق سراحى؟)". لا تمثل (هنا)، التي تشير إلى القفص، الموقع المادي الحقيقي لقائل هذه الكلمات، ولكنها تشير إلى الموقع الذي يؤدي فيه الشخص دور الجرو. قد يكون الأساس التداولي

١ : مسرد التداولية، مجيد الماشطة، ص ٥٣.

٢ : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص ٢٣.

الحقيقي للتأشير المكاني تباعدا نفسيا، يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنها بعيدة نفسيا، مثلا: (ذلك الرجل هناك). مع ذلك، قد يرغب المتكلم في جعل شيء قريب ماديا (مثلا، عطر استنشقه) بعيدا نفسيا بقوله: (لا أحب ذلك العطر). وفقا لهذا التحليل، فإن كلمة مثل (ذلك) لا تمتلك معنى دلاليا ثابتا، ولكنها تشبع بمعنى ما في سياق المتكلم".^١

وتُظهر اللغة قدرتها على تجسيد البعد المكاني عبر الأفعال أيضًا، فالفعلان (يأتي) و(يذهب) يحملان بُعدًا تداوليًا يعتمد على الموقع النسبي من المتكلم: ف(يأتي) يفيد الحركة نحو المتكلم، و(يذهب) يشير إلى الحركة منه باتجاه آخر، ما يجعل تحديد المرجع المكاني متوقعًا على نقطة الإشارة في الحدث.^٢ كما يمكن أن يُقاس البُعد المكاني في الخطاب اليومي، مثل قول شخص: (تقع الجامعة على يميني)، وهي عبارة تعتمد في فهمها على معرفة موقع المتكلم حين تقوّه بها، إذ أن معرفة موقع الشيء المشار إليه لا تكفي لفهم الجملة ما لم تُحدّد موقع المتكلم نفسه. وهذا ما يجعل الإشارات المكانية ذات صلة وثيقة بتداولية الخطاب، التي تشترط فهم موقع الإرسال لفهم موقع المشار إليه.^٣

من جهة أخرى، فإن بعض الباحثين يرون أن أدوات التعريف ك(ال) يمكن أن تدخل ضمن العناصر الإشارية، لأنها تُستخدم للإحالة إلى كيان معلوم أو محدد. لكن ما يُميز أسماء الإشارة عنها هو كونها موسومة

١ : التداولية، جورج يول، ص ٣٣.

٢ : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص ٢٣-٢٤.

٣ : استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص ٨٤.

بعلامة القرب أو البعد، في حين أن أدوات التعريف غير موسومة بمثل هذه الدلالات، ولهذا تُعد أسماء الإشارة أوضح أدوات الإحالة المكانية^١.
وخلاصة القول، إن الإشارات المكانية لا تكتفي بالإحالة إلى المواقع المادية، بل تتجاوز ذلك إلى الإشارات النفسية والوجدانية، ما يجعلها أدوات غنية دلاليًا، لا تُفهم إلا من السياق الكلي للخطاب، وموقع المتكلم داخله، وعلاقته بما يُشار إليه من أشياء، أو أشخاص، أو مواقع.

١ : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص ٢٣.

ثالثاً: المبحث التطبيقي:

(الإشارات في قصيدة "أتظن" للشاعر السعودي مهذل الصقور^١)

نص القصيدة:

- | | |
|--|---|
| ١- أَتَظُنُّ أَنَّكَ عِنْدَمَا أَحْرَقْتَنِي | وَرَقَصْتَ كَالشَّيْطَانِ فَوْقَ رُفَاتِي |
| ٢- وَتَرَكْتَنِي لِلذَّارِيَاتِ تَذُرْنِي | كُحْلًا لَعِينِ الشَّمْسِ فِي الْفُلُوتِ |
| ٣- أَتَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ طَمَسْتَ هَوِيَّتِي | وَمَحَوْتَ تَارِيخِي وَمَعْتَقِدَاتِي |
| ٤- عِبْثًا تُحَاوِلُ ... لَا فَنَاءَ لثَائِرِ | أَنَا كَالْقِيَامَةِ ذَاتِ يَوْمٍ آتٍ |
| ٥- أَنَا مِثْلُ عَيْسَى عَائِدٌ وَبِقُوَّةٍ | مِنْ كُلِّ عَاصِفَةٍ أَلُمُّ شَتَاتِي |
| ٦- سَأَعُودُ أَقْدَمَ عَاشِقٍ مَتَمَرِدٍ | سَأَعُودُ أَعْظَمَ أَعْظَمِ الثُّورَاتِ |
| ٧- سَأَعُودُ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَال | قُرْآنٍ وَالتَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ |
| ٨- سَأَعُودُ بِالْأَدْيَانِ دِينًا وَاحِدًا | خَالٍ مِنَ الْأَحْقَادِ وَالنَّعْرَاتِ |
| ٩- رَجُلٌ مِنَ الْأَخْدُودِ مَا مِنْ عَوْدَتِي | بَدَّ ... أَنَا كُلُّ الزَّمَانِ الْآتِي |

بعد الانتهاء من عرض الجانب النظري لظاهرة الإشارات، وبيان أنواعها وأهميتها في التحليل التداولي، أنتقل في هذا الجزء من الدراسة إلى التطبيق العملي على النص الشعري محل الدراسة. إذ يهدف هذا المبحث إلى تتبع الإشارات كما وردت في النص، وبيان ما تؤديه من وظائف، وما تحمله من دلالات في سياقها الخاص. وسينقسم التحليل إلى ثلاثة محاور رئيسية: الإشارات الشخصية، فالزمانية، ثم المكانية، مع الالتزام بالمنهج

١ : مهذل بن مهدي بن ظافر آل محمد بن مهذل الصقور اليامي: شاعر وأديب سعودي من قبيلة يام في منطقة نجران جنوب المملكة العربية السعودية، يكتب الشعر الفصيح والنبطي، وله عدة دواوين شعرية منها (أتظن أنك عندما أحرقتني)، و(ابتسمي أرجوك ابتسمي). ينتمي إلى أسرة شعرية، فوالده هو الشاعر مهدي بن ظافر آل محمد بن مهذل.

الوصفي التحليلي في إطار الدرس التداولي، الذي يربط بين البنية اللغوية، والمعنى الذي تولّده داخل النص.

١. الإشارات الشخصية في النص:

تمثل الإشارات الشخصية إحدى الركائز الجوهرية في بناء الخطاب الشعري، فهي الجسر الذي يربط بين أطراف الكلام، والمرآة التي تنعكس عليها مواقف المتكلم والمخاطب. وفي قصيدة "أتظن أنك عندما أحرقتني" للشاعر مهذل الصقور، تأتي هذه الإشارات لتشكل نسيجاً متماسكاً من المواجهة المباشرة، إذ يتوزع حضور الضمائر على نحو متقارب عددياً بين المتكلم والمخاطب، إلا أن وظائفها تتباين في حدة النبوة وقوة الأثر. ومع غياب ضمائر الغائب، يظل النص مغلقاً على حوار ثنائي مكثف، يحمل في كل منعطف من منعطفاته انفعالاتاً جديدة، ويعيد رسم المشهد الشعري في ضوء موقع كل ضمير، بحيث يتحول الضمير إلى عنصر فاعل لا يقل أهمية عن الأفعال والصور البلاغية الأخرى.

١-١. ضمائر المتكلم:

"أحرقتني"^١

يحمل الضمير المتصل (ني) إحالة مباشرة إلى ذات الشاعر في لحظة الاشتعال الأولى للصراع، إذ تتجسد الذات كضحية مستهدفة بالفعل العدائي. لا يكتفي هذا الضمير بوصف الألم، بل يحوِّله إلى صورة محسوسة تتخلل النص، فيجعل القارئ شاهداً على لحظة الاحتراق وما تحمله من انكسار داخلي. اقتران الضمير بالفعل "أحرقت" يشحن الجملة بطاقة بصرية ووجدانية، تتوهج في مخيلة المتلقي كأنها مشهد سينمائي بالغ الكثافة، يجعل أثر الحرق حاضراً في الذاكرة لا يُمحى.

١ : البيت الأول.

"رفاتي"^١

الضمير (ي) ليس مجرد علامة ملكية، بل هو خيط يربط بين الذات وما تبقى منها بعد الفعل المدمر. حين يذكر الشاعر "رفاتي"، فإنه يربط الحطام المادي بكيانه الروحي، ليحضر في النص مزيج من البقاء والفناء معاً. هذه الإحالة تُخرج الضمير من وظيفته النحوية التقليدية، ليغدو شاهداً على أثر الفعل في الجسد والروح، وإشارة إلى أن الدمار لم يمحُ كل شيء، بل ترك ما يكفي ليكون دليلاً على البقاء والتحرر والنهوض من جديد.

"تركتني"^٢

في هذا الموضع، يأخذ الضمير (ني) معنى مختلفاً، إذ لا يتعلق الأمر بالفعل العدائي المباشر، بل بفعل الانسحاب والتخلي. هنا تتحول المواجهة إلى مساحة من الغياب والخذلان، إذ يجد المتكلم نفسه في فراغ عاطفي يوازي في قسوته فعل الإيذاء الجسدي. هذا الضمير يفتح أمام النص باباً آخر للجرح، باب الفقد الذي يضاعف الإحساس بالوحدة والخذلان.

"تذرنِي"^٣

يحيل الضمير (ني) إلى ذات مبعثرة، تُترك بلا سند في مواجهة التشتت والانهيار. الإحساس بالانفصال عن الجذر وعن المعنى يتجلى بقوة، فيرسم النص صورة أشلاء متناثرة في فضاء مفتوح، وكأن الضمير نفسه يصرخ بطلب لملة ما تبقى من الروح. هذه الصورة تحمّل النص إحساساً بالعجز أمام قوة التبعض التي فرضها المخاطب.

١ : البيت الأول.

٢ : البيت الثاني.

٣ : البيت الثاني.

"هويتي"^١

يتصل الضمير (ي) بجوهر الذات، بالمعنى الأعمق لما يجعلها ما هي عليه. الحديث عن "هويتي" هو إعلان تمسك بما لا يمكن مصادرتة، وتأكيد على أن فعل الطمس، مهما بلغ، لا يستطيع محو ما هو راسخ في الوعي والذاكرة. الضمير هنا يتحول إلى حصن لغوي يقف في وجه محاولات الإلغاء، مؤكداً أن الهوية لا تذوب بسهولة.

"تاريخي"^٢

حين يذكر الشاعر "تاريخي"، فإنه يربط الحاضر بامتداد زمني طويل، وكأن الضمير (ي) يثبت أقدام الذات في سياق تاريخي لا يمكن اجتثاثه. هذا الربط يمنح المواجهة عمقاً إضافياً، إذ يجعلها ليست مجرد خلاف لحظي، بل صراعاً يمتد إلى جذور الذاكرة والكينونة، ويحيل إلى الوعي بأن الماضي حاضر في كل مواجهة آنية.

"معتقداتي"^٣

الضمير (ي) هنا يحمل أبعاداً فكرية وروحية، إذ يربط بين الذات ومبادئها التي تشكل أساس وجودها. المساس بالمعتقدات يصبح مساساً بجوهر الشخص، فيكتسب الضمير دور المدافع عن كيان معنوي لا يقل أهمية عن الجسد أو الهوية، ويجعل المواجهة أشبه بصراع على البقاء المعنوي، لتكتمل بذلك مقومات الوجود الذي ظن المخاطب أنه قادر على محوه وتدميره.

١ : البيت الثالث.

٢ : البيت الثالث.

٣ : البيت الثالث.

"أنا كالقيامة ذات يوم آت"^١

الضمير المنفصل (أنا) يضع الذات في موضع أسطوري يتجاوز حدود البشر، مشبهاً إياها بالقيامة بما تحمله من رهبة وحتمية. هذا الحضور يعيد تشكيل ميزان القوة في النص، إذ يظهر المتكلم ليس كضحية فقط، بل كقوة قادمة لا مفر منها، حاملة معها وعداً بالانتصار وإعادة الحساب، ليستل في معركته مع المخاطب سلاحاً آخر هو الثقة بالعودة والانتصار.

"أنا مثل عيسى عائد وبقوة"^٢

يتكرر الضمير (أنا) لكن مع إضافة رمزية دينية، فيربط المتكلم نفسه بصورة العائد المعجزي. هذا التوظيف يمنح النص بعداً روحياً سامياً، ويضيف إلى المواجهة طابعاً قديراً يتجاوز الزمن والمكان، ويجعل العودة أشبه بحدث استثنائي موعود به منذ الأزل، وهو تأكيد فوق تأكيد.

"شتاتي"^٣

الضمير (ي) يصف حالة تمزق داخلي، لكن الإشارة إلى الشتات لا تخلو من أمل في إعادة الجمع. هذا الضمير يعكس الصراع بين الانكسار والرغبة في الترميم، ويضع القارئ أمام ذات تتأرجح بين اليأس والإصرار على النهوض، وكأنها تتحت طريقها بين الركاب، بدافع اليقين بالعودة الحاسمة، والانتصار المحتوم.

١ : البيت الرابع.

٢ : البيت الخامس.

٣ : البيت الخامس.

"أنا كل الزمان الآتي"^١

الضمير (أنا) يمنح الذات امتدادًا كونيًا، فيغدو المتكلم زمنًا بأكمله. هذه الإحالة تضاعف من حضور الذات في النص، وتفتح المجال لتصورها ككيان يتجاوز حدود اللحظة والصراع الحالي، وكأنها تكتب تاريخ المستقبل بوجودها.

الضمير المستتر في "آتي"^٢

يتوارى الضمير خلف الفعل، لكنه يظل فاعلاً أساسيًا يعلن العودة بثقة. هذا الخفاء يمنح الضمير حضورًا داخليًا قويًا، وكأنه وعد مكتوم لا يحتاج إلى التصريح ليكون مؤكدًا.

الضمير المستتر في "ألم شتاتي"^٣

يحضر الضمير المستتر (أنا) هنا بوصفه اليد التي تجمع شظايا الذات. الفعل يعطي إحياءً بالإرادة والتصميم، وكأن المتكلم يتولى بنفسه مهمة إعادة البناء، في مواجهة فعل التفكيك الذي تعرض له، ما يعكس صمودًا في لحظة الانكسار.

"عودتي"^٤

الضمير (ي) يربط فعل العودة بملكية حصرية للمتكلم، وكأنه يعلن أن المبادرة بيده، وأن الخطوة القادمة ستكون منه. هذا الاستخدام يضيف إحساسًا بالسيادة والتحكم، ويغلق النص على وعد بالتحرك الإيجابي.

١ : البيت التاسع.

٢ : البيت الرابع.

٣ : البيت الخامس.

٤ : البيت التاسع.

١-٢. ضمائر المخاطب:

الضمير المستتر في "أتظن"^١

يحضر المخاطب في افتتاحية النص عبر ضمير مستتر موجّه مباشرة إليه (أنت)، فتستدعيه القصيدة إلى المشهد منذ اللحظة الأولى. هذا الحضور الخفي يضاعف من أثر السؤال الاستتاري، إذ يضع المخاطب في حالة مواجهة ذهنية تشكك في يقينه وتستفزه. والضمير هنا، رغم غيابه لفظياً، يرسّخ حضوره في وعي القارئ، ويحوّل العبارة إلى خشبة مسرح تُفتّح عليها المواجهة، حيث تتوزع الأدوار بوضوح بين متكلم يملك زمام المبادرة ومخاطب محاصر بأسئلة لا مفر منها.

"أنك عندما أحرقتني"^٢

الضمير (ك) يحدد الفاعل المسؤول عن الفعل المؤذي، رابطاً إياه بمشهد الحرق الذي يشكل نقطة الانطلاق في الصراع، فيجعل ذنبه واضحاً لا يقبل الإنكار. هذا الضمير المباشر يضع المخاطب في قلب الحدث بوصفه المحرك الأساسي له، ويثبت صورته في ذهن القارئ كخصم أول. كما يعمّق من ارتباطه بالفعل بحيث لا ينفصل اسمه عن لحظة الإيذاء، فيغدو الفعل والفاعل وحدة واحدة في الذاكرة النصية.

الضمير في "ورقصت"^٣

تُحيل (التاء) هنا للمخاطب المعتدي، إذ يتجلى ذاك المعتدي هنا في فعل شماتة صريح، ما يضاعف من حدة الاتهام، ويجعل صورته أمام القارئ صورة فاعل يتلذذ بالأذى. هذا الضمير الخفي يضعه في قلب مشهد

١ : البيت الأول.

٢ : البيت الأول.

٣ : البيت الأول.

الاحتفال بالخراب، وكأن حضوره المحسوس في السياق يكشف عن مشاركة وجدانية في الفعل لا تقل قسوة عن الحدث نفسه.

الضمير المستتر في "أتظن"^١

التكرار يعيد المخاطب إلى ساحة المساءلة، وكأن الشاعر يريد تثبيت صورة ظنه الخاطئ في ذهنه، وإغلاق منافذ الهروب من المسؤولية.

"أنك قد طمست هويتي"^٢

يحضر الضمير (ك) ليحمل المخاطب مسؤولية فعل الطمس، رابطاً اسمه بالفعل في ذاكرة النص، وجاعلاً من خطيئته حدثاً متجدد الحضور. كما يظهر الفاعل عبر تاء المخاطب في "طمست"، لتكون الإدانة مزدوجة: مرة عبر الضمير (ك) في "أنك"، ومرة عبر ضمير الفاعل في الفعل نفسه، فيغدو حضوره مباشراً وواضحاً في بنية المواجهة.

الضمير في "محوت معتقداتي"^٣

يحضر المخاطب هنا عبر (تاء المخاطب) بوصفها إشارة مباشرة إليه داخل النص، لتجعله الفاعل المسؤول عن محو جوهر الذات واقتلاع ما يربطها بمعناها الأعمق. هذا الضمير الإشاري، بظهوره الصريح، لا يترك مجالاً للالتباس بشأن هوية الفاعل، ويجعل حضوره في المواجهة حاضراً بقوة في وعي القارئ.

١ : البيت الثالث.

٢ : البيت الثالث.

٣ : البيت الثالث.

الضمير المستتر في "تحاول"^١

هذا الحضور يشي بالإصرار على الفعل، وكأن المخاطب لا يكتفي بما حدث، بل يواصل السعي نحو الهدف العدائي، ما يخلق حالة من الاستمرار المرهق، ويسلط الضوء من جانب آخر إلى صمود المتكلم، رغم ضراوة وعبثية وديمومة الاعتداءات.

الضمير في "أحرقنتي"^٢

يحضر المخاطب عبر (تاء المخاطب) بوصفها إشارة مباشرة إليه، مؤكدة مسؤوليته عن لحظة الحرق الأولى التي تشكل شرارة الصراع. هذا الضمير الإشاري، مقترنًا بالفعل، يعيد القارئ إلى مشهد البداية، ويثبت صورة الفاعل في الذاكرة، موحياً بأن الجرح الذي سببه لم يُلَنتَم بعد.

الضمير في "تركتني"^٣

يعود المخاطب هنا عبر الضمير الظاهر (تاء المخاطب)، ما يضيف بعداً آخر لمسؤوليته، إذ يجمع بين فعل الإيذاء وفعل الإهمال. وظهوره اللفظي في الفعل يعزز حضوره الفعلي في المشهد، بل يرسخ صورته كفاعل ترك أثراً متوازيين في النص: جرح مباشر، وفراغ قاسٍ خلفه الانسحاب.

الضمير في "محوت معتقداتي"^٤

التكرار يضاعف من الإلحاح على تحميل المخاطب وزر هذا الفعل، حتى يصبح من صفاته الراسخة في النص.

١ : البيت الرابع.

٢ : البيت الأول.

٣ : البيت الأول.

٤ : البيت الثالث.

الضمير في "طمست هويتي"

يحيل الضمير هنا للمخاطب، ليضعه النص وجهًا لوجه أمام فعل الطمس الذي سبق أن واجهته الذات بصمود في عبارة "هويتي". هذا الضمير الظاهر لا يكفي بتحديد الفاعل، بل يحمله كامل المسؤولية عن محاولة محو ما هو راسخ وعصي على الإلغاء. وبهذا، يصبح حضوره أداة لإدانة مباشرة، تعيد القارئ إلى جوهر المواجهة بين إرادة الفاعل في الطمس، وإصرار الذات على التمسك بما لا يُمحى.

خلاصة:

يكشف هذا التحليل أن الإشارات الشخصية في قصيدة "أتظن أنك عندما أحرقتني" ليست أدوات إحالة محايدة، بل هي مكونات تداولية حية تتحرك في النص لتصوغ الصراع وتحدد ملامحه. الضمائر هنا ليست مجرد روابط لغوية، بل هي أصوات فاعلة تملك حضورًا دلاليًا وجماليًا وأسلوبيا قادرًا على حمل الانفعال وإعادة إنتاجه مع كل تكرار. غياب ضمائر الغائب جعل المواجهة محصورة في فضاء ثنائي مغلق، ما منح النص كثافة في الحضور المباشر بين طرفي الحوار، وجعل القارئ شريكًا في هذه المواجهة المشحونة. وبذلك، تحولت الضمائر إلى محور ارتكاز في البناء الشعري، تعيد توزيع القوة بين المتكلم والمخاطب، وتمنح القصيدة طابعها الحاد والمحتدم.

أنواع الضمائر وعددها وتفصيلها

نوع الضمير	المجموع	منفصل	مستتر	متصل
ضمائر المتكلم	14	3	2	9
ضمائر المخاطب	13	0	9	4
ضمائر الغائب	0	0	0	0

٢. الإشارات الزمانية في النص:

تمثل الإشارات الزمانية ركيزة أساسية في تشكيل الإطار التداولي للخطاب الشعري، فهي التي تحدد أبعاد الزمن في النص، وتربط الأفعال والمواقف بمحطات زمنية محددة أو مفتوحة. وفي قصيدة "أتظن أنك عندما أحرقتني" للشاعر مهذل الصقور، لا يقتصر الزمان على كونه خلفية للأحداث، بل يصبح عنصرًا فاعلاً في بناء المعنى، إذ يتداخل الماضي والحاضر والمستقبل في شبكة متوترة من الإشارات التي تخدم الصراع وتكثف انفعاله. هذه الإشارات تتوزع بين ألفاظ صريحة للزمن، وأخرى ضمنية تحمل دلالات زمنية قوية، بحيث تتعاضد لتكوين خط زمني متحرك يوازي خط المواجهة الشعورية بين المتكلم والمخاطب.

"أتظن أنك عندما أحرقتني"^١

جاءت "عندما" هنا ظرف زمان يحدد اللحظة التي وقع فيها الفعل الأساسي "أحرقتني". حضورها يربط بين الحدث وزمنه، ليجعل المشهد محدداً بوضوح في وعي القارئ. هذه الإشارة الزمنية تخلق انطباعاً بالاسترجاع، وكأن المتكلم يعود إلى لحظة مفصلية ليعيد سردها، لا لتوثيقها فحسب، بل لإعادة إحياء الألم المرتبط بها. وفي ذلك، يتحول الزمن إلى أداة لاستدعاء الانفعال وتعميقه.

"ذات يوم آت"^٢

هذه العبارة تحمل وعداً مستقبلياً مؤكداً، إذ يجمع الشاعر بين التحديد "ذات يوم" والحتمية "آت". الإشارة هنا ليست إلى يوم مجهول تماماً، بل إلى موعد قادم يثق المتكلم بوقوعه، ما يخلق إحساساً بالانتظار النشط. هذا

١ : البيت الأول.

٢ : البيت الرابع.

النوع من الإشارات الزمانية يمد النص بطاقة توقع، ويفتح أفقاً نحو ما بعد لحظة الصراع الراهن، فيجعل المستقبل شريكاً في تشكيل الحاضر.

"أنا مثل عيسى عائدٌ وبقوة"^١

صيغة اسم الفاعل "عائد" تتضمن فعلاً مضمرًا في زمن المستقبل القريب، حيث تعبر عن حتمية العودة. وهي إشارة زمنية ذات طابع حركي، إذ لا تكتفي بالإخبار عن الزمن، بل تحمل وعدًا ضمنيًا بالفعل المرتبط به. استخدام هذه الكلمة يضيف للنص إيقاعًا متحركًا، وكأن العودة بدأت قبل أن تحدث فعليًا في زمن الحكاية الشعرية.

"من كل عاصفة"^٢

رغم أن العبارة تبدو مكانية، إلا أنها هنا تؤدي وظيفة زمنية أيضًا، إذ تشير إلى زمن ما بعد انقضاء العواصف. هذه الإحالة الزمنية تتضمن معنى العبور والتجاوز، وكأن المتكلم يحدد النقطة الزمنية التي ينطلق منها نحو الفعل التالي. هذا الاستخدام يربط الزمان بالفعل التجاوزي، فيجعل لحظة ما بعد الأزمة مركزًا للتغير والتحول.

"سأعود أقدم عاشق"^٣

صيغة التفضيل "أقدم" في سياق "أقدم عاشق" لا تشير إلى الأسبقية العمرية فقط، بل تؤسس لعمق زمني يمتد إلى ماضٍ بعيد. هذه الإشارة تجعل التجربة العاطفية للمتكلم ذات جذور ضاربة في الزمن، ما يضفي عليها ثقلًا وخبرة مكتسبة. عبر هذه الكلمة يتسع النص ليشمل أزمنة سابقة

١ : البيت الخامس.

٢ : البيت الخامس.

٣ : البيت السادس.

على لحظة المواجهة، وكأن المتكلم يستحضر تراكم الخبرات جزءاً من حجته.

"سأعود"^١

الفعل المضارع المسبوق بالسین يفتح باب المستقبل، ويعطي وعداً صريحاً بالعودة. تكرار "سأعود" ثلاث مرات في النص يجعلها بمثابة نبض زمني يعيد التأكيد على فكرة الحتمية. كل تكرار يأتي محملاً بظلال سياقية جديدة: في المرة الأولى ترتبط العودة بالتمرد والعشق، وفي الثانية تحمل بعداً دينياً وروحياً، وفي الثالثة تُطرح كمشروع إنساني شامل. هكذا يتحول التكرار من مجرد إعادة لغوية إلى توسع في المعنى الزمني والمضموني.

"ما من عودتي بد"^٢

العبارة تحمل يقيناً مطلقاً بوقوع العودة، وتربطها بالضرورة الزمنية، وكأنها حدث مكتوب لا مهرب منه. الإشارة الزمنية هنا ليست مجرد تنبؤ، بل تقرير لمصير محتوم، ما يعزز إحساس القارئ بأن لحظة العودة جزء من بنية الزمان نفسه في النص.

"الزَّمانِ الآتي"^٣

هذه العبارة تشكل خاتمة الإشارات الزمانية في النص، وتوجّه البوصلة مباشرة نحو المستقبل. كلمة "الآتي" تعطي للزمان صفة الحركة نحو المتكلم، وكأنه قادم نحوه محملاً بما سيحدث. في هذا السياق، يصبح الزمان نفسه طرفاً في المواجهة، وفاعلاً في مسار الأحداث.

١ البيت السادس، السابع، الثامن.

٢ : البيت التاسع.

٣ : البيت التاسع.

خلاصة:

بنى الشاعر مهذل الصقور عبر هذه الإشارات الزمانية خطأ سردياً يتجاوز حدود اللحظة الشعرية الواحدة. فالقصيدة تتحرك باستمرار بين استدعاء الماضي واستشراف المستقبل، ما يمنحها ديناميكية زمنية تعكس طبيعة الصراع بين المتكلم والمخاطب. هذه الإشارات لا تكتفي بتحديد موقع الأحداث في الزمن، بل تسهم في شحن النص بطاقة الانفعال، وتوسيع أفقه ليشمل ما قبل وما بعد لحظة المواجهة. وبذلك، يغدو الزمن في النص كائناً حياً، يشارك في صنع المعنى بقدر ما تصنعه الشخصيات والأفعال.

٣. الإشارات المكانية في النص:

تحتل الإشارات المكانية مكانة مركزية في الخطاب الشعري، إذ لا تقتصر وظيفتها على تحديد مواضع الأحداث، بل تتجاوز ذلك إلى بناء فضاء تداولي ينعكس فيه الموقف النفسي والانفعال الشعوري. في قصيدة "أتظن أنك عندما أحرقتني" للشاعر مهذل الصقور، تتحول الإشارات المكانية إلى مسرح تتوزع عليه مشاهد المواجهة، فتظهر الأمكنة لا باعتبارها خلفيات صامتة، بل باعتبارها عناصر فاعلة في تشكيل المعنى.

فالمكان في هذه القصيدة ليس محايداً، بل محمل بشحنات رمزية تعمق الصراع وتكشف أبعاده النفسية والفكرية. تتوزع هذه الإشارات بين أماكن محسوسة محددة المعالم، وأخرى رمزية تتسع لتشمل أبعاداً وجودية وروحية، ما يجعل فضاء النص متداخل الطبقات، ممتداً بين الأرض والسماء، بين الواقع والرمز.

"فوق رفاتي"^١

الإشارة المكانية الأولى في النص تأتي محملة بدلالات كثيفة، إذ يشير "فوق رفاتي" إلى موقع مرتفع نسبياً عن بقايا الجسد، حيث يتخذ المخاطب مكانه "كالشيطان" ليؤدي فعل الشماتة والاحتفال. هذه الصورة المكانية ترسم علاقة عمودية بين الطرفين: المتكلم في الأسفل، في موقع الضحية، والمخاطب في الأعلى، في موقع المتسلط أو المتشقي.

هذا التوزيع المكاني يعكس أيضاً توزيع القوة في لحظة الحدث، لكنه في الوقت نفسه يخلق انطباعاً بأن هذا العلو مؤقت، لأن النص بأكمله يتنبأ بانقلاب الأدوار. من الناحية الرمزية، يمثل "الرفات" نهاية مرحلة وبداية أخرى، فيما "الفوقية" تشير إلى لحظة انتشاء زائلة. هكذا يصبح المكان أداة لتمثيل الحالة الشعورية ولترتيب مشهد الصراع بصرياً.

"كحلًا لعين الشمس"^٢

في هذا التعبير، يتحول المكان إلى استعارة جريئة، إذ يُجعل المتكلم أشبه بكحل لعين الشمس. من الناحية المكانية، الإحالة إلى "عين الشمس" تنقل المشاهد من الأرض إلى السماء، في بعد علوي رمزي يرتبط بالنور والقوة. لكن المفارقة أن الكحل - رغم جماله في السياق المعتاد - هنا نتيجة فعل التذرية، أي التشتت والانحلال. المكان العلوي لا يحمل بالضرورة دلالة إيجابية، بل يضيف بعداً مأساوياً؛ إذ يعلو المتكلم في صورة جمال زائف، جمال صنعه الألم.

هذا النوع من الإشارات المكانية يجمع بين البعد الجغرافي (موضع العين في الأعلى)، والبعد الرمزي (الشمس باعتبارها مصدر حياة وقوة)، ما

١ : البيت الأول.

٢ : البيت الثاني.

يوسع فضاء النص ليشمل التناقض بين الحضور المهيّب، والانكسار الداخلي.

"في الفلوات"^١

"الفلوات" تحيل إلى مساحات شاسعة مفتوحة، غالبًا ما تكون قاحلة وخالية من الحياة. من الناحية المكانية، تمنح هذه الكلمة للنص امتدادًا أفقيًا بلا حدود، حيث تنتشر ذرات المتكلم في فضاء لا يحده جدار ولا يضمه إطار. لكن هذا الامتداد ليس حرية، بل تشتت وضياح؛ إذ يُترك الجسد الممزق ليصير جزءًا من الفراغ القاحل.

الإشارة المكانية هنا تعمق الإحساس بالوحدة والانفصال، وتجعل المكان شاهدًا على عملية التفكير. كما أن اختيار "الفلوات" بدلًا من أي مساحة مأهولة يضاعف الشعور بالعزلة، ليصبح المكان عنصرًا من عناصر القسوة التي يمارسها المخاطب ضد المتكلم.

"من كل عاصفة"^٢

رغم أن العبارة تحمل بعدًا زمنيًا أشرنا إليه في المبحث السابق، إلا أن حضورها المكاني لا يقل وضوحًا؛ فهي تشير إلى الانطلاق من كل موضع شهد اضطرابًا أو صراعًا. العاصفة هنا ليست مجرد ظاهرة جوية، بل فضاء مكاني مضطرب، مليء بالقوة المدمرة.

عبارة "من كل عاصفة" توحي بأن المتكلم خرج من قلب الأحداث العنيفة، من أماكن كانت في لحظة ما مغلقة على الفوضى، لكنه استطاع مغادرتها. هذا الخروج يجعل المكان نقطة بداية جديدة، ويعطي للنص إيقاعًا حركيًا، حيث يتحول المكان من سجن عاصف، إلى منطلق نحو الفعل الإيجابي.

١ : البيت الثاني.

٢ : البيت الخامس.

"من الأخدود"^١

الأخدود في التراث الديني والتاريخي مكان يحمل دلالات مأساوية عميقة، إذ يرتبط بحكاية أصحاب الأخدود الذين أُحرقوا في خندق. ذكر "من الأخدود" يستحضر مباشرة فضاء مكاني محفوقاً بالقسوة والموت الجماعي، لكنه في النص يتحول إلى نقطة انطلاق للمتكلم، وكأنه ينهض من قلب المأساة ليعود.

هذا التحول يمنح المكان وظيفة مزدوجة: فهو من جهة مسرح للفناء، ومن جهة أخرى مصدر انبعاث جديد. بهذه الإحالة، يربط الشاعر بين تجربته الشخصية، وتجارب تاريخية كبرى، ما يمنح النص بعداً تاريخياً عميقاً، ويجعل المكان جزءاً من الذاكرة الجمعية.

خلاصة:

تكشف الإشارات المكانية في قصيدة "أتظن أنك عندما أحرقتني" عن فضاء شعري متعدد الطبقات، يجمع بين الجغرافيا المادية والرمزية، ويجعل المكان عنصراً فاعلاً في تشكيل الصراع. من المشهد العمودي في "فوق رفاتي" إلى الامتداد الشاسع لـ"الفلوات"، ومن العلو المهيّب في "عين الشمس"، إلى العمق المأساوي لـ"الأخدود"، يظل المكان حاضراً كقوة تداولية تحدد مواقف الشخصيات، وتمنح القصيدة أبعادها البصرية والانفعالية.

هذه الإشارات لا تصف مواقع جامدة، بل ترسم خرائط شعورية تتغير بتغير الموقف، ما يجعل المكان في النص أشبه بكائن حي يشارك في صناعة المعنى، ويعكس طبيعة الصراع بين المتكلم والمخاطب. وبهذا، يصبح تحليل الإشارات المكانية خطوة لا غنى عنها لفهم البنية الكاملة للقصيدة، حيث يلتقي فيها الزمان والمكان في نسيج شعري مشحون بالدلالات.

١ : البيت التاسع.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن الإشارات في قصيدة "أتظن" للشاعر مهذل الصقور لم تكن مجرد عناصر لغوية محايدة، بل مكونات فاعلة في تشكيل البنية الدلالية والجمالية للنص، وإدارة الموقف التخاطبي بين المتكلم والمخاطب.

فقد أظهر تحليل الإشارات الشخصية أن الضمائر جاءت موزعة بين المتكلم والمخاطب في إطار مواجهة لغوية ثنائية مغلقة، إذ بنى المتكلم صورته الذاتية باعتبارها مزيجاً من الألم والإصرار على العودة، فيما رسّخت ضمائر المخاطب صورة الخصم الفاعل في سلسلة الأفعال السلبية.

أما الإشارات الزمانية فقد جسّدت امتداد التجربة الشعرية عبر أبعاد زمنية متعددة، تربط بين لحظة المواجهة الحاضرة، ومآلاتها المستقبلية المحتملة، ما يعكس إيمان الذات الشعرية بديمومة حضورها، وقدرتها على تجاوز فعل الإلغاء.

في حين أن الإشارات المكانية أسهمت في تشكيل فضاء شعري متحرك، يدمج بين البعد الواقعي والبعد الرمزي، ويمنح النص انفتاحاً على أفق دلالي واسع، يربط بين جغرافيا الفعل التخاطبي، ورمزية الصراع.

وتبرز أهمية هذه النتائج في أنها تؤكد الطابع التداولي للإشارات، إذ يتجاوز دورها حدود الإحالة اللغوية، إلى بناء شبكة من العلاقات المعنوية والنفسية والجمالية، تُثري فهم النص الشعري، وتكشف عن تفاعلاته العميقة مع السياق. ومن ثم، فإنه من المرجو أن تكون هذه الدراسة خطوة نحو إثراء المكتبة التداولية العربية، وفتح المجال أمام دراسات تطبيقية أخرى تستكشف حضور الإشارات في أنماط خطابية متنوعة.

قائمة المراجع

الكتب:

- ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م.
- أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٥م.
- برتيمه، وفاء، على هامش التداولية، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٢٤م.
- البستاني، بشرى، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر، لندن، ٢٠١٢م.
- بن يحيى، محمد، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١١م.
- بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩م.
- بولان، إلفى، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة: محمد تنفو، ويلي أحمياني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨م.
- حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، نشر شبكة الألوكة، ٢٠١٥م.
- خليفة، هشام إ. عبد الله، نظرية الفعل الكلامي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٧م.
- ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦م.
- الزناد، الأزهر، نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

- سيرفوني، جان، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، مارس ٢٠٠٤م.
- صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، يوليو ٢٠٠٥م.
- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي بالمغرب، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٨م.
- علي، محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، يونيو ٢٠٠٤م.
- عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠١٢م.
- عياشي، منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ٢٠٠٢م.
- لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م.
- لهويمان، باديس، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤م.
- الماشطة، مجيد، وأمجد الركابي، مسرد التداولية، دار الرضوان، الأردن، ٢٠١٨م.
- مزيد، بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م.
- نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م.

- يول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم
ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م.

الأبحاث العلمية:

- البحلة، عبد الكريم مصلح، وعبد الله علي عصبه، التعبير الإشاري في
(الطرفة الذمائية) مقارنة تداولية، مجلة الآداب، جامعة ذمار، اليمن،
العدد ١١، يونيو، ص ٤٦، يونيو ٢٠١٩م.

- عسيري، حنان بنت علي، تداولية الإشارات عند ابن زيدون (قصيدة
أثرت هزبر الشرى إذ ربض) أنموذجاً، مجلة كلية دار العلوم، العدد
١٤١، يوليو ٢٠٢٢م.

- العزاوي، كاظم جاسم، التعبير الإشاري في (الخصيبي) مقارنة تداولية،
مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، العراق، المجلد ٢٤، العدد ١، مارس
٢٠١٦م.

- علي، خلف الله بن، التداولية (مقدمة عامة)، مجلة اتحاد الجامعات
العربية للآداب، المجلد ١٤، العدد ١، ٢٠١٧م.

- العنزي، حمدة، مقارنة تداولية لقصيدة (لا تصالح) لأمل دنقل، حولية
كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر (جرجا)، العدد ٢٤، عام ٢٠٢٠م.

- غول، سمية، جهود أحمد المتوكل في اللسانيات التداولية، مجلة (أفانين
الخطاب)، المجلد ١، العدد ٢، ديسمبر ٢٠٢١م.

- الفرجاني، ضيف، تداولية الإشارة عند نزار قباني، مجلة الدراسات
العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد ١، العدد ٣٨، ص ١٣٣-
١٥٣، يوليو ٢٠١٨م.

- القحطاني، زينة حسين عوضه، التداولية ومقاصدها في الأفعال الكلامية
في قصيدة (سيدة الأقمار)، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة
شقراء، المجلد ١١، العدد ١، ص ٤٦ إلى ص ٥٩، ٢٠٢٣م.

- القرني، سعد بن عبد الله، يتيمة ابن زريق (مقاربة تداولية)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية ٤٤، يونيو ٢٠٢٤م.

الرسائل العلمية:

- بوسكي، ندى، وسمية مقروش، دراسة الوظائف التداولية في ديوان (صباح الخير يا عرب) صلاح الدين باوية أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة محمد الصديق الجزائر، العام الجامعي ٢٠٢١-٢٠٢٢م.

- لعور، آمنة، الأفعال الكلامية في سورة الكهف، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، العام الجامعي ٢٠١٠-٢٠١١م.

References :

- abn manzurin, jamal aldiyn muhamadu, lisan alearabi, dar sadir, bayrut 1992m.
- 'arminku, franswaz, almuqaribat altadawuliata, tarjamatu: saeid ealush, markaz al'iinma' alqawmii, 1985m. - biratimati, wafa'i, ealaa hamish altadawuliati, dar alkhaliy lilnashr waltawziei, al'urduni, 2024m.
- albustani, bushraa, altadawuliat fi albahth allughawii walnaqdii, muasasat alsayaab liltibaeat walnashri, landan, 2012m.
- bin yahi, muhamad, alsimat al'uslubiat fi alkhitaab alshierii, ealim alkutub alhadithi, 'iiribidu, al'urduni, 2011m.
- bujadi, khalifat, fi allisaniaat altadawuliat mae muhawalat tasiliat fi aldars alearabii alqadimi, bayt alhikmat lilnashr waltawziei, aljazayar, 2009m.
- bulan, 'iilfaa, almuqarabat altadawuliat lil'adbi, tarjamatu: muhamad tanfu, walaylaa ahmiani, ruyat lilnashr waltawziei, alqahirati, 2018m.
- hamdawi, jamil, altadawuliaat watahlil alkhatabi, nashr shabakat al'ulukati, 2015m.
- khalifat, hisham 'ii.eabd allah, nazariat alfiel alkaalamii, maktabat lubnan nashiruna, lubnan, 2007m.
- khitama, jawadi, altadawuliat 'usuluha watijahatiha, kunuz almaerifat lilnashr waltawziei, al'urduni, 2016m.
- alzanadi, al'azhar, nasij alnus: bahath fi ma yakun bih almalfuz nisaa, almarkaz althaqafii alearabii, bayrut, 1993m.
- sirfuni, jan, almalfuziati, tarjamatu: qasim almiqdad, min manshurat atihad alkitaab alearibi, 1998m.
- alshahri, eabd alhadi bin zafir, astiratijiaat alkhitaab (muqarabat lughawiat tadawuliatun), dar alkitab aljadidi, birut, mars 2004m.
- sahrawi, maseud, altadawuliat eind aleulama' alearabi, dar altalieati, birut, yuliu 2005m.

- eabd alrahman, taha, fi 'usul alhiwar watajdid eilm alkalami, almarkaz althaqafiu alearabiu bialmaghribi, altabeat althaaniatu, bayrut 1998m.
- ealay, muhamad muhamad yunus, madkhal 'iilaa allisaniaati, dar alkitaab aljadidi, birut, yunyu 2004m.
- eumran, qaduwr, albued altadawuliu walhujaajiu fi alkhitaab alquranii almuajah 'iilaa bani 'iisrayiyl, ealim alkutub alhadith, al'urduni 2012m.
- eayashi, mundhir, al'uslubiat watahlil alkhatabi, markaz al'iinma' alhadari, halba, suria, 2002m.
- laynzi, jun, allughat walmaenaa walsiyaqi, tarjamatu: eabaas sadiq alwahaabi, dar alshuwuwn althaqafiat aleamati, baghdad 1987m.
- lahuimla, badis, mazahir altadawuliat fi miftah aleulum lilsakaki, ealim alkutub alhadithi, al'urdunn, 2014m.
- almashtatu, majid, wa'amjad alarakabi, masrid altadawuliat, dar alridwan, al'urduni, 2018m.
- mazidi, baha' aldiyn muhamad, tabsit altadawuliat: min 'afeal allughat 'iilaa balaghat alkhitaab alsiyasi, shams lilnashr waltawzie, alqahirati, 2010m.
- nahlatu, mahmud 'ahmad, afaq jadidat fi albahth allughui, maktabat aladab, alqahirati, 2011m.
- yuli, jurj, altadawuliatu, tarjamatu: qisayi aleatabi, aldaar alearabiat lileulum nashiruna, birut, 2010m.

al'abhath aleilmiatu:

- albahlatu, eabd alkarim maslaha, waeabd allah eali easbata, altaebir al'iisharii fi (altarfat aldhimariati) muqarabat tadawuliat, majalat aluadbi, jamieat dhimari, alyaman, aleadad 11, yunyu, sa46, yuniu 2019m.
- easiri, hanan bint eulay, tadawuliat al'iishariaat eind abn zaydun (qasidat 'atharat hazbar alshuraa 'iidh rabada) anmwdhjan, majalat kuliyat dar aleulumi, aleadad 141, yuliu 2022m.

- aleazaawi, kazim jasimi, altaebir al'iishariu fi (alkhasibi) muqarabat tadawuliati, majalat jamieat babil lileulum al'iinsaniati, aleiraqi, almujalad 24, aleadad 1, maris 2016m.
- ealay, khalf allah ban, altadawulia (muqadimat eamatun), majalat atihad aljamieat alearabiat liladab, almujalad 14, aleadad 1, 2017m.
- aleinzi, hamdat, muqarabat tadawuliat liqasida (la tusalih) li'amal danqula, hawliat kuliyyat allughat alearabiati, jamieat al'azhar (jarja), aleadad 24, eam 2020m.
- ghul, simyat, juhud 'ahmad almutawakil fi allisaniaat altadawuliati, majala ('afanin alkhatabi), almujalad 1, aleadad 2, disambir 2021m.
- alfirjani, dayfi, tadawuliat al'iisharat eind nizar qabaani, majalat aldirasat alearabiati, kuliyyat dar aleulumi, jamieat alminya, almujalad 1, aleadad 38, sa133-153, yuliu 2018m.
- alqahtani, zinat husayn eawadah, altadawuliat wamaqasiduha fi al'afeal alkalamiat fi qasida (sidat al'aqmar), majalat aleulum al'iinsaniat wal'iidariati, jamieat shaqra'i, almujalad 11, aleadad 1, sa46 'iilaa sa59, 2023m.
- alqarani, saed bin eabd allah, yatimat abn zariq (muqarabat tadawuliatun), hawliat aladab waleulum aliajtimaeiati, jamieat alkuayt, alhawliat 44, yuniu 2024m.

alrasayil aleilmiatu:

- buski, nidaa, wasumyat maqrush, dirasat alwazayif altadawuliat fi diwan (sabah alkhayr ya earab) salah aldiyn bawiat anmwdhjan, risalat majistir, jamieat muhamad alsidiyq aljazayar, aleama aljamieia 2021-2022m.
- lieur, aminat, al'afeal alkalamiat fi surat alkahfa, risalat majistir, jamieat minturi qisnutinatun, kuliyyat aladab wallughati, qism allughat alearabiati, aleami aljamieii 2010-2011m.